

سورة المزمل

مكية إلا الآيات ١٠ و ١١ و ٢٠ فمدنية وآياتها ٢٠ نزلت بعد الفلم
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * يَا أَيُّهَا الْمَزْمُلُ ۖ قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۖ نَّصْفَهُ ۖ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۖ أَوْزِدْ عَلَيْهِ

سورة المزمل

(يأياها المزمل) نداه للنبي صلى الله عليه وسلم ووزن المزمل متفاعل فأصله متزمل ثم سكنت التاء وأدغمت في الزاى وفى تسمية النبي صلى الله عليه وسلم بالمزمل ثلاثة أقول أحدها أنه كان فى وقت نزول الآية متزملا فى كساء أو لحاف والتزمل الالتفاف فى الثياب بضم وتشميم هذا قول عائشة والجمهور ، والثانى أنه كان قد تزمل فى ثيابه للصلاة ، الثالث أن معناه المتزمل للنبوة أى المتشمر المجتدى أمرها والاول هو الصحيح لما ورد فى البخارى ومسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما جاءه الملك وهو فى غار حراء فى ابتداء الوحى رجع صلى الله عليه وسلم إلى خديجة ترعد فرائصه فقال زملونى زملونى فنزلت يأياها المدثر وعلى هذا نزلت يأياها المزمل فالمزمل على هذا تزمله من أجل الرعب الذى أصابه أول ما جاءه جبريل وقال الزمخشرى كان نائما فى قطيفة فنودى يأياها المزمل ليبين الله الحالة التى كان عليها من التزمل فى القطيفة لأنه سبب للنوم الثقيل المانع من قيام الليل وهذا القول بعيد غير سديد ، وقال السهيلي فى ندائه بالمزمل فائدتان : إحداهما الملاطفة فإن العرب إذا قصدت ملاطفة المخاطب نادوه باسم مشتق من حالته التى هو عليها كقول النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم لعلى : قم أبا تراب ، والفائدة الثانية التنبيه لكل متزمل راقدا بالليل ليتنبه إلى ذكر الله لأن الاسم المشتق من الفعل يشترك فيه المخاطب وكل من انقص بترك النصف (قم الليل) هذا الأمر بقيام الليل يختلف هل هو واجب أو مندوب ، فعلى القول بالنسب فهو ثابت غير منسوخ ، وأما على القول بالوجوب ففيه ثلاثة أقوال : أحدها أنه فرض على النبي صلى الله عليه وسلم وحده ولم يزل فرضا عليه حتى توفى ، الثانى أنه فرض عليه وعلى أمته فقاموا حتى انتفخت أقدامهم ، ثم نسخ بقوله فى آخر السورة إن ربك يعلم أنك تقوم الآية : وصار تطوعا هذا قول عائشة رضى الله عنها وهو الصحيح ، واختلف كم بقى فرضا فقالت عائشة عاما وقيل ثمانية أشهر وقيل عشرة أعوام فالآية الناسخة على هذا مدنية ، الثالث أنه فرض عليه صلى الله عليه وسلم وعلى أمته وهو ثابت غير منسوخ ، ولكن ليس الليل كله إلا ما تيسر منه وهو مذهب الحسن وابن سيرين (إلا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه) فى معنى هذا الكلام أربعة أقوال : الأول وهو الأشهر والأظهر أن الاستثناء من الليل وقوله نصفه بدل من الليل أو من قليلا ، وجعل النصف قليلا بالنسبة إلى الجميع والضمير أن فى قوله : أو انقص منه ، أو زد عليه : عائدان على النصف والمعنى أن الله خيره بين ثلاثة أحوال وهو أن يقوم نصف الليل أو ينقص من النصف قليلا أو يزد عليه . الثانى : قال الزمخشرى إلا قليلا استثناء من النصف كأنه قال نصف الليل إلا قليلا بخيره على هذا بين حالتين وهما أن يقوم أقل من النصف أو أكثر منه وهذا ضعيف ، لأن قوله أو انقص منه قليلا تضمن معنى النقص من النصف فلا فائدة زائدة فى استثناء القليل من النصف ، القول الثالث قال الزمخشرى أيضا : يجوز أن يريد بقوله أو انقص منه قليلا نصف النصف وهو الربع ويكون الضمير فى قوله أو زد عليه يعود على ذلك ، أى زد على الربع فيكون ثلثا فيكون التخخير

وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ۖ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۖ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا ۖ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۖ وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۖ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۖ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ۖ وَذُرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِيَ النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ۖ

على هذا بين قيام النصف أو الثلث أو الربع ، وهذا أيضا بعيد ، القول الرابع قال ابن عطية : يحتمل أن يكون معنى إلا قليلا الليالي التي يمنعه العذر من القيام فيها ، والمراد بالليل على هذا الليالي فهو جنس وهذا بعيد لأنه قد فسر هذا القليل المستثنى بما بعد ذلك من نصف الليل أو النقص منه أو الزيادة عليه ، فلذلك على أن المراد بالليل المستثنى بعض أجزاء الليل لا بعض الليالي ، فإن قيل : لم قيد النقص من النصف بالقلة فقال أو انقص منه قليلا وأطلق في الزيادة فقال أو زد عليه ولم يقل قليلا ؟ فالجواب : أن الزيادة تحسن فيها الكثرة فلذلك لم يقيد بها بالقلة بخلاف النقص فإنه لو أطلقه لاحتمل أن ينقص من النصف كثيرا (ورتل القرآن ترتيلا) الترتيل هو التمهّل والمد وإشباع الحركات وبيان الحروف ، وذلك معين على التفكر في معاني القرآن بخلاف الهذ الذي لا يفقه صاحبه ما يقول وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع قراءته حرفا حرفا ولا يمر بآية رحمة إلا وقف وسأل ولا يمر بآية عذاب إلا وقف وتعوذ (إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا) هذه الآية اعتراض بين آية قيام الليل ، والقول الثقيل هو القرآن واختلف في وصفه بالثقل على خمسة أقوال أحدها أنه سمي ثقيلا لما كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يلقاه من الشدة عند نزول الوحي عليه حتى أن جبينه ليتفصد عرقا في اليوم الشديد البرد ، وقد كان يثقل جسمه عليه الصلاة والسلام بذلك حتى إنه إذا أوحى إليه وهو على ناقته بركت به ، وأوحى إليه وثقله على فخذه زيد بن ثابت فكادت أن ترض فخذه زيد والثقل على هذا حقيقة ، الثاني أنه ثقيل على الكفار بإعجازه ووعيده ، الثالث أنه ثقيل في الميزان ، الرابع أنه كلام له وزن ورجحان ، الخامس أنه ثقيل لما تضمن من التكليف والأوامر والنواهي ، وهذا اختيار ابن عطية وعلى هذا يناسب الاعتراض بهذه الآية ، قيام الليل لمشقته (إن ناشئة الليل) في الناشئة سبعة أقوال : الأول أنه النفس الناشئة بالليل أي التي تنشأ من مضجعتها وتقوم للصلاة ، الثاني الجماعات الناشئة الذين يقومون للصلاة ، الثالث العبادة الناشئة بالليل أي تحدث فيه ، الرابع الناشئة القيام بعد النوم فمن قام أول الليل قبل أن ينام فلم يقم ناشئة ، الخامس الناشئة القيام أول الليل بعد العشاء ، السادس الناشئة بعد المغرب والعشاء ، السابع ناشئة الليل ساعاته كلها (هي أشد وطئا) يحتمل معنيين أحدهما : أثقل وأصعب على المصلي ومنه قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم اللهم أشدد وطأتك على مضر ، والأثقل أعظم أجرا فالمعنى تحريض على قيام الليل لكثرة الأجر . الثاني أشد ثبوتا من أجل الخلوة وحضور الذهن والبعد عن الناس ويقرب هذا من معنى أقوم قيلا وقرئ وطئا بكسر الواو على وزن فعال ومعناه موافقة أي يوافق القلب اللسان بحضور الذهن (إن لك في النهار سبحا طويلا) السبح هنا عبارة عن التصرف في الاشتغال والمعنى يكفيك النهار للتصرف في أشغالك وتفرغ بالليل لعبادة ربك وقيل المعنى إن فاتك شيء من صلاة الليل فآته بالنهار فإنه طويل يسع ذلك (واذكر اسم ربك) قيل معناه قل بسم الله الرحمن الرحيم في أول صلاتك واللفظ أعم من ذلك (وتبتل إليه تبتيلا) أي انقطع إليه بالعبادة والتوكل عليه وحده وقيل التبتل رفض الدنيا وتبتيلا مصدر على غير

إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا ۖ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ۚ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيرًا مَّهِيلًا ۚ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۚ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ۚ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ۚ السَّمَاءُ مِنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ۚ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلَاثِي

قياس (فاتخذوه وكيلا) الوكيل هو القائم بالأمور والذي توكل إليه الأشياء فهو أمر بالتوكل على الله (واصبر على ما يقولون) أى على ما يقول الكفار والآية منسوخة بالسيف وقيل إنما المنسوخ المهادنة التي يقتضيها قوله أخرجهم هجرا جميلا وأما الصبر فأموره في كل وقت (وذرنى والمسكدين) هذا تهديد لهم وانتصب المسكدين على أنه مفعول معه أو معطوف (أولى النعمة) أى التمتع في الدنيا وروى أن الآية نزلت في بني المغيرة وهم قوم من قريش كانوا متنعمين في الدنيا (أنكالا) جمع نكل وهو القيد من الحديد. روى أنها قيود سود من نار (وطعاما ذاغصة) شجرة الزقوم ومعنى ذاغصة أى يغص به آكلوه وقيل هو شوك يعترض في حلوقهم لا ينزل ولا يخرج وروى أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قرأ هذه الآية فصعق (يوم ترجف الأرض) أى تهتز وتزلزل والعامل في يوم معنى الكلام المتقدم وهو إن لدينا أنكالا (وكانت الجبال كثيلا مهيلا) السكيب كدس الرمل والمهيل اللين الرخو الذي تهيله الريح أى تنشره وزنه مفعول والمعنى أن الجبال تصير إذا نسفت يوم القيامة مثل السكيب (إننا أرسلنا إليكم رسولا) خطاب لجميع الناس لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى الناس كافة وقال الزمخشري هو خطاب لأهل مكة (وشهيدا عليكم) أى يشهد على أعمالكم من الكفر والإيمان والطاعة والمعصية وإنما يشهد على من أدركه لقوله صلى الله عليه وسلم أقول كما قال أخى عيسى وكنتم عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم (كما أرسلنا إلى فرعون رسولا) يعنى موسى عليه السلام وهو المراد بقوله فعصى فرعون الرسول فاللام للعهد (أخذا وبيلًا) أى عظيما شديدا (يوما) مفعول به وناصبه تتقون أى كيف تتقون يوم القيامة وأهواله إن كفرتم وقيل هو مفعول به على أن يكون كفرتم بمعنى جحدتم ، وقيل هو ظرف أى كيف لكم بالتقوى يوم القيامة ويحتمل أن يكون العامل فيه محذوف تقديره اذكروا قوله السماء منفطر به (يجعل الولدان شيبا) الولدان جمع وليد وهو الطفل الصغير والشيب بكسر الشين جمع أشيب ووزنه فعل بضم الفاء وكسرت لأجل الياء ، ويجعل يحتمل أن يكون مسندا إلى الله تعالى أو إلى اليوم ، والمعنى أن الأطفال يشيرون يوم القيامة ، فقيل إن ذلك حقيقة ، وقيل إنه عبارة عن هول ذلك اليوم ، وقيل إنه عبارة عن طوله (السماء منفطر به) الانفطار الانشقاق والضمير المجرور يعود على اليوم أى تنفطر السماء لشدة هوله ويحتمل أن يعود على الله أى تنفطر بأمره وقدرته والاول أظهر والسماء مؤنثة وجاء منفطر بالتذكير لأن تأنيثها غير حقيقى أو على الإضافة تقديره ذات انفطار أو لأنه أراد السقف (كان وعده مفعولا) الضمير في وعده يحتمل أن يعود على اليوم أو على الله والاول أظهر لأنه ملفوظ به (إن هذه تذكرة) الإشارة إلى ما تقدم من المواعظ والوعيد (فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا) يريد سبيل التقرب إلى الله ومعنى الكلام حض على ذلك وترغيب فيه (إن ربك يعلم أنك تقوم

الَّيْلِ وَنُصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّنْ نَّحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ
فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ
اللَّهِ وَآخَرُونَ يَقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاقْرَءُوا اللَّهَ
قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ
اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

سورة المدثر

مكية وآياتها ٥٦ نزلت بعد المزمل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * يَسَّيْهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ *

أدنى من ثلثي الليل (هذه الآية نزلت ناسخة لما أمر به في أول السورة من قيام الليل ومعناها أن الله يعلم أنك ومن معك من المسلمين تقومون قياما مختلفا مرة يكثرو مرة يقل ، لأنكم لا تقدرُونَ على إحصاء أوقات الليل وضبطها فإنه لا يقدر على ذلك إلا الله يخفف عنكم وأمركم أن تقرؤوا ما تيسر من القرآن (ونصفه وثلثه) من قرأها بالخفض فهو عطف على ثلثي الليل أي تقوم أقل من ثلثي الليل وأقل من نصفه وثلثه ومن قرأ بالنصب فهو عطف على أدنى أي تقوم أدنى من ثلثي الليل وتقوم نصفه تارة وثلثه تارة (وطائفة) يعنى المسلمين وهو معطوف على الضمير الفاعل في تقوم (علم أن لن تحصوه) الضمير يعود على ما يفهم من سياق الكلام أي لن تحصوا تقدير الليل ، وقيل معناه لن تطيقوه أي لن تطيقوا قيام الليل كله (فتاب عليكم) عبارة عن التخفيف كقوله فإذا لم تفعلوا تاب الله عليكم (فاقرؤوا ما تيسر من القرآن) أي إذا لم تقدرُوا على قيام الليل كله فقوموا بعضه واقرأوا في صلاتكم بالليل ما تيسر من القرآن ، وهذا الأمر للندب ، وقال ابن عطية هو للإباحة عند الجمهور وقال قوم منهم الحسن وابن سيرين هو فرض لا بد منه ولو أقل ما يمكن حتى قال بعضهم من صلى الوتر فقد أمثل هذا الأمر ، وقيل كان فرضاً ثم نسخ بالصلوات الخمس ، وقال بعضهم هو فرض على أهل القرآن دون غيرهم (علم أن سيكون منكم مرضى) ذكر الله في هذه الآية الأعذار التي تكون لبني آدم تمنعهم من قيام الليل فمنها المرض ومنها السفر للتجارة وهى الضرب فى الأرض لا بتغاء فضل الله ومنها الجهاد ثم كرر الأمر بقراءة ما تيسر تأكيذا للأمر به أو تأكيذا للتخفيف وهذا أظهر لأنه ذكره بأثر الأعذار (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) يعنى المكتوبتين (واقْرءوا الله) معناه تصدقوا ، وقد ذكر فى البقرة (هو خيراً) نصب خيراً لأنه مفعول ثانٍ لتجدوه والضمير فصل (واستغفروا الله) قال بعض العلماء إن الاستغفار بعد الصلاة مستحب من هذه الآية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سلم من صلاته استغفر ثلاثاً

سورة المدثر

(بأيها المدثر) وزنه متفعل ومعناه الذى تدثر فى كساء أو ثياب وتسميته بذلك كتسميته بالمزمل حسبما ذكرنا فى موضعه وقال السهيلي: فى ندائه بالمدثر ثلاثة فوائد: الاثنان اللذان ذكرتا فى المزمل وفائدة ثالثة وهى أن

وَلَا تَمَنَّ تَسْتَكْثِرُ ۖ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۖ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ۖ فَذَلِكَ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۖ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ
يَسِيرٍ ۖ ذُرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۖ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ۖ وَبَنِينَ شُهُودًا ۖ وَمَهْدَتْ لَهُ تَمْهِيدًا ۖ ثُمَّ يَطْمَعُ
أَنْ أَزِيدَ ۖ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ۖ سَأَرْهَقُهُ صَعُودًا ۖ إِنَّهُ فَكَرَ وَقَدَّرَ ۖ فَكَيْفَ قَدَّرَ ۖ ثُمَّ قَتَلَ كَيْفَ

العرب يقولون النذير العريان للنذير الذي يسكون في غاية الجدة والتشمير والنذير بالثياب ضد هذا فيكأنه تنبيهه على ما يجب من التشمير ، وقيل إن هذه أول سورة نزلت من القرآن : والصحيح أن سورة اقرأ نزلت قبلها (قم فأنذر) أي أنذر الناس وهذه بعثة عامة (وربك فكبر) أي عظمه ويحتمل أن يريد قول الله أكبر ويؤيد ذلك ما روى عن أبي هريرة أن المسلمين قالوا بهم نفتتح صلاتنا فنزلت وربك فكبر وقوله وربك فكبر : من المقلوب الذي يقرأ من أوله وآخره (وثيابك فطهر) فيه ثلاثة أقوال أحدها أنه حقيقة في تطهير الثياب من النجاسة واختلاف في هذا هل يحمل على الوجوب فتكون إزالة النجاسة واجبة أو على الندب فتكون سنة ، والآخر أنه يراد به الطهارة من الذنوب والعيوب فالثياب على هذا مجاز ، الثالث : أن معناه لا تلبس الثياب من مكسب خبيث (والرجز فاهجر) فيه ثلاثة أقوال ، أحدها : أن الرجز الأول والثاني ، روى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو قول عائشة ، والآخر أن الرجز السخط والعذاب وهذا أصله في اللغة فمعناه اهجرج ما يؤدي إليه ويوجب ، الثالث : أنه المعاصي والفجور ، قال بعضهم كل معصية رجز (ولا تمنن تستكثر) يحتمل قوله تمنن أن يكون بمعنى العطاء أو بمعنى المن وهو ذكر العطاء وشبهه ، أو بمعنى الضعف فإن كان بمعنى العطاء ففيه وجهان ، أحدهما : أن معناه لا تعط شيئا لتأخذ أكثر منه ، قال بعضهم هذا خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم ومباح لأئمة ، والآخر : لا تعط الناس عطاء وتستكثره ، لأن الكريم يستقل ما يعطى وإن كثيرا ، وإن كان من المن بالشئ ففيه وجهان ، الأول : لا تمنن على الناس بنبوتك تستكثر بأجر أو مكسب تطالبه ، الثاني : لا تمنن على الله بعملك تستكثر أعمالك وتقع لك بها إعجاب وإن كان من الضعف فعناه لا تضعف عن تبليغ الرسالة وتستكثر ما حملناك من ذلك (ولربك فاصبر) أي اصبر لوجهه وطلب رضا ، ويحتمل أن يريد الصبر على المسكاره والمصائب ، أو على إذابة الكيفار له ، أو على العبادة (فإذا نقر في الناقور) يعني نفخ في الصور ، ويحتمل أن يريد النفخة الأولى والثانية (ذرني ومن خلقت وحيدا) هذا وعيد وتهديد ، ونزلت الآية في الوليد بن المغيرة باتفاق ، وفي معنى وحيدا ثلاثة أقوال : أحدها : روى أنه كان يلقب الوحيد ، أي لا نظير له في ماله وشرفه وكونه وحيدا نعمة عددها الله عليه ، الثاني : أن معناه خلقة منفردا ذليلا ، الثالث : أن معناه خلقة وحدي فوحيدا على هذا من صفة الله تعالى وإعراجه على هذا حال من الضمير الفاعل في قوله خلقت وهو على القولين الأولين حال من الضمير المفعول (وجعلت له مالا ممدودا) أي كثيرا ، واختلف في مقداره فقيل : ألف دينار ، وقيل عشرة آلاف دينار ، وقيل يعني الأرض لأنها مدت (وبنين شهودا) أي حضورا ، وروى أنه كان له عشرة من الأولاد ، وقيل ثلاثة عشرة لا يفارقونه ، وأسلم منهم ثلاثة وهم : خالد وهشام وعمار (ومهدت له تمهيدا) أي بسطت له في الدنيا بالمال والقوة وطيب العيش (ثم يطمع أن أزيد) أي يطمع في الزيادة على ما أعطاه الله ، وهذا غاية الحرص

قَدَرَ * ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ * ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ * فَسَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ * إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ
الْبَشَرِ * سَأَصْلِيهِ سَقَرٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ * لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ * لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ * عَلَيْهَا تِسْعَةُ عَشَرَ * وَمَا
جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عَدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيَقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
وَيَزِدَّادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ

(كلا) زجر عما طمع فيه من الزيادة (عنيدا) أى معانداً مخالفاً ، والآيات هنا يراد بها القرآن لأن الوليد قال فيه إنه سحر ، ويحتمل أن يريد الدلائل (سأرهقه صعودا) الصعود العقبة الصعبة ، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنها عقبة في جهنم كلها صعودها الانسان ذاب ثم يعود ، فالمعنى سأشقى عليه بتكليفه الصعود فيها (إنه فكر وقدر) أى فكر فيما يقول ، وقدر في نفسه ما يقول في القرآن أى هياً كلامه ، روى أن الوليد سمع القرآن فأعجبه وكاد يسلم ، ودخل إلى أبي بكر الصديق فعاتبه أبو جهل ، وقال له إن قريشا قد أبغضتك لمفاربك أمر محمد وما يخاصك عندهم إلا أن تقول في كلام محمد قولاً يرضيهم ، فافتن وقال أفعل ذلك ثم فكر فيما يقول في القرآن فقال : أقول شعر ما هو شعر ، أقول كهانة ما هو بكهانة ، أقول إنه سحر وإنه قول البشر ليس منزلاً من عند الله (فقتل كيف قدر) دعاه عليه وذم وكرره تأكيذاً لزمه وتقييح حاله قال ابن عطية : ويحتمل أن يكون مقتضاه استحسان منزعه الأول حين أعجبه القرآن ، فيكون قوله قتل لا يراد به الدعاء عليه وإنما هو كقولهم قاتل الله فلانا ما أنجعه يريدون التعجب من حاله واستعظام وصفه ، وقال الزمخشري يحتمل أن يكون ثناء عليه على طريقة الاستمراء أو حكاية لقول قريش تهكم بهم (ثم نظر) أى نظر في قوله (ثم عبس وبسر) البسور هو تقطيب الوجه وهو أشد من العبوس ، وفعل ذلك من حسده للنبي صلى الله عليه وسلم أى عبس في وجهه عليه الصلاة والسلام ، أو عبس لما ضاقت عليه الحيل ولم يدر ما يقول (ثم أدبر) أى أعرض عن الاسلام (سحر يؤثر) أى ينقل عمن تقدم (وما أدراك ما سقر) تعظيم لهاوتهم ويل (لا تبقي ولا تذر) مبالغة في وصف عذابها أى لا تدع غاية من العذاب إلا أذاقته إياها أو لا تبقي شئ ألقى فيها إلا أهلكته وإذا أهلكت لم تذر هالكاً بل يعود للعذاب (أواحة للبشر) معنى أواحة مغيرة يقال أوحه السفر إذا غيره والبشر جمع شجرة وهى الجلدة ، فالمعنى أنها تحرق الجلود وتسودها وقبل أواحة من لاح إذا ظهر والبشر الناس أى تلوح للناس ، وقال الحسن تلوح لهم من مسيرة خمسمائة عام (تسعة عشر) بمعنى الزبانية خزنة جهنم فقيل هم تسعة عشر ملكاً وقيل تسعة عشر صفاء من الملائكة والأول أشهر (وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة) سبب الآية أنه لما نزل عليها تسعة عشر قال أبو جهل : أيعجز عشرة منكم عن واحد من هؤلاء التسعة عشر أن يبطشوا به ، فنزلت الآية ومعناها أنهم ملائكة لا طاقة لكم بهم وروى أن الواحد منهم يرمى بالجليل على الكفار (وما جعلنا عدتهم إلا فتنه للذين كفروا) أى جعلناهم هذا العدد ليفتن الكفار بذلك ويطمعوا أن يغلبوهم ويقولون ما قالوا (ليستيقن الذين أوتوا الكتاب) أى ليعلم أهل التوراة والإنجيل أن ما أخبر به محمد صلى الله عليه وسلم من عدد ملائكة النار حق لأنه موافق لما في كتبهم (ولا يرتاب) أى لا يشك (الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون) أن ما قاله محمد صلى الله عليه وسلم حق ، فإن قيل : كيف نفى عنهم الشك بعد أن وصفهم باليقين والمعنى واحد وهو تكرار ؟ فالجواب

وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ * كَلَّا وَالْقَمَرِ * وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ * وَالصُّبْحِ إِذَا أَصْفَرَ * إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ * نَذِيرًا لِلْبَشَرِ * لَمَن شَاءَ مِنْكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ * كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ * فِي جَنَّتِ يَقْسَا لُونُ عَنِ الْمُجْرِمِينَ * مَسَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمُسْكِينِ * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ * وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ * حَتَّى آتَيْنَا الْيَقِينَ * فَمَا تَنْفَعُهُمْ

أنه لما وصفهم باليقين نفى عنهم أن يشكوا فيما يستقبل بعديقيهم الحاصل الآن فكأنه وصفهم باليقين في الحال والاستقبال وقال الزمخشري ذلك مبالغة وتأكيد (وليقل الذين في قلوبهم مرض) (المرض عبارة عن الشك) وأكثر ما يطلق الذين في قلوبهم مرض على المنافقين فإن قيل هذه السورة مكية ولم يكن حينئذ منافقون وإنما حدث المنافقون بالمدينة، فالجواب من وجهين أحدهما أن معناه يقول المنافقون إذا حدثوا ففيه إخبار بالغيب والآخر أن يريد من كان بمكة من أهل الشك، وقولهم ماذا أراد الله بهذا مثلاً: استبعاد لأن يكون هذا من عند الله (وما يعلم جنود ربك إلا هو) يحتمل القصد بهذا وجهين أحدهما وصف جنود الله بالكثرة أي هم من كثرتهم لا يعلمهم إلا الله والآخر رفع اعتراض الكفار على التسعة عشر أي لا يعلم أعداد جنود الله إلا هو لأن منهم عددا قليلا ومنهم عددا كثيرا حسبا أراد الله (وما هي إلا ذكراً للبشر) الضمير لجهنم أو الآيات المتقدمة (كلا) ردع للكفار عن كفرهم وقال الزمخشري هي إنكار لأن تكون لهم ذكرى (إذا أدبر) أي ولى وقرئ دبر بغير ألف والمعنى واحد وقيل معناه دبر الليل والنهار أي جاء في دبره (والصبح إذا أسفر) أي أضاء ومنه الإسفار بصلاة الصبح (إنها لإحدى الكبر) الضمير لجهنم أو الآيات والندارة أي هي من الأمور العظام والكبر جمع كبرى وقال ابن عطية جمع كبيرة والاول هو الصحيح (نذير للبشر) تمييز أو حال من إحدى الكبر وقيل النذير هنا الله فالعامل فيه على هذا محذوف وهذا ضعيف وقيل هو حال من هذه السورة أي قم فأنذر نذيرا وهذا بعيد قال الزمخشري هو من بدع التفاسير (لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر) التقديم عبارة عن تقديم سلوك طريق الهدى والتأخر ضده ولمن شاء بدل من البشر أي هم متمكنون من التقدم والتأخر وقيل معناه الوعيد كقوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وعلى هذا أعرب الزمخشري أن يتقدم مبتدأ ولمن شاء خبره والاول أظهر (رهينة) قال ابن عطية الهاء في رهينة للمبالغة أو على تأنيث النفس وقال الزمخشري ليست بتأنيث رهين لأن فعلا بمعنى مفعول يستوى فيه المذكر والمؤنث وإنما هي بمعنى الرهن أي كل نفس رهن عند الله بعملها (إلا أصحاب اليمين) أي أهل السعادة فإنهم فكروا رقابهم بأعمالهم الصالحة كما فك الرهن رهنه بأداء الحق وقال علي بن أبي طالب أصحاب اليمين هم الأطفال لأنهم لأعمال لهم يرتنون بها وقال ابن عباس هم الملائكة (يتساءلون عن المجرمين) أي يسأل بعضهم بعضا عن حال المجرمين الذين في النار (ماسلككم في سقر) أي ما أدخلكم النار وهذا خطاب للمجرمين يحتمل أن خاطبهم به المسلمون أو الملائكة فأجابوهم بقولهم لم نك من المصلين وما بعده أي هذا الذي أوجب دخولهم النار، وإنما أخر التكذيب بيوم الدين تعظيما له لأنه أعظم جرائمهم (نخوض) الخوض هو كثرة الكلام بما لا ينبغي من الباطل وشبهه (حتى آتانا اليقين) هو الموت عند المفسرين وقال ابن

شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ ۖ فَآلَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ ۖ كَانَهُمْ حَمْرٌ مُسْتَنْفَرَةٌ ۖ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ۖ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ
أَمْرٍ مِنْهُمْ أَنْ يُوْتِيَ صُحُفًا مَنَشْرَةً ۖ كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ۖ كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمِنْ شَاءَ ذَكَرَهُ ۖ وَمَا
يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ۖ

سورة القيامة

مكية وآياتها ٤٠ نزلت بعد القارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۖ لَا أَقْسِمُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۖ وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ۖ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَجْمَعَ
عِظَامَهُ ۖ بَلَىٰ قَدَرِينَ عَلَىٰ أَنْ تُسَوَّىٰ بَنَانُهُ ۖ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجَرَهُ أُمَامُهُ ۖ يَسْتَلُ أَيَّانَ يَوْمِ الْقِيَمَةِ ۖ فَإِذَا

عطية : إنما اليقين الذي أرادوا ما كانوا يكذبون به في الدنيا ، فيتيقنونه بعد الموت (فما تنفعهم شفاعة
الشافعين) إنما ذلك لأنهم كفار ، وأجمع العلماء أنه لا يشفع أحد في الكفار ، وجمع الشافعين دليل على
كثرتهم كما ورد في الآثار ، تشفع الملائكة والأنبياء والعلماء والشهداء والصالحين (فالهم عن التذكرة معرضين)
يعني كفار قريش (كأنهم حمر مستنفرة) المستنفرة بفتح الفاء التي استنفرتها الفرع وبالكسر بمعنى النافرة
شبه الكفار بالجر النافرة في جهلهم ونفورهم عن الإسلام ويعني حمر الوحش ، (فرت من قسورة) قال
ابن عباس : القسورة الرماة وقال أيضا هو الأسد ، وقيل أصوات الناس ، وقيل الرجال الشداد ، وقيل
سواد أول الليل (بل يريد كل امرئ منهم أن يوْتى صحفا منشرة) المعنى يطمع كل إنسان منهم أن ينزل عليه
كتابا من الله ، ومعنى منشرة منشورة غير مطوية أي طرية كما كتبت لم تطو بعد وذلك أنهم قالوا للرسول
صلى الله عليه وسلم لا تتبعك حتى تأتي كل واحد منا بكتاب من السماء فيه من رب العالمين إلى فلان بن فلان
نؤمر باتباعك (كلا) ردع عما أرادوه (بل لا يخافون الآخرة) أي هذه هي العلة والسبب في إعراضهم
(كلا) تأكيد الردع الأول أو ردع عن عدم خوفهم الآخرة (إنه تذكرة) الضمير لما تقدم من الكلام أو
للقرآن بجملة (فمن شاء ذكره) فاعل شاء ضمير يعود على من ، وفي ذلك حض وترغيب وقيل الفاعل هو الله
ثم قيد فعل العبد بمشيئة الله (هو أهل التقوى وأهل المغفرة) أي هو أهل لأن يتقى لشدة عقابه ، وهو أهل لأن
يغفر الذنوب لكرمهم وسعة رحمته وفضله

سورة القيامة

(لا أقسم) في الموضعين معناه أقسم ولا زائدة لتأكيد القسم وقيل هي استفتاح كلام بمنزلة ألا وقيل
هي نفي لكلام الكفار (النفس اللوامة) هي التي تلوم نفسها على فعل الذنوب أو التقصير في الطاعات ، فإن
النفوس على ثلاثة أنواع يغيرها النفس المطمئنة وشرها النفس الأمارة بالسوء وبينهما النفس اللوامة ، وقيل
اللوامة هي المذمومة الفاجرة ، وهذا بعيد لأن الله لا يقسم إلا بما يعظم من المخلوقات ويستقيم إن كان
لا أقسم نفيا للقسم (أيحسب الإنسان أن لن نجتمع عظامه) الإنسان هنا للجنس أو الإشارة به للكفار المنكرين
للبعث ومعناه أيظن أن لن نجتمع عظامه للبعث بعد فنائها في التراب ، وهذه الجملة هي التي تدل على جواب

بَرْقِ الْبَصْرِ - وَخَسَفَ الْقَمَرَ - وَجَمَعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرَ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُ - كَلَّا لَا وَزَرَ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ - يَنْبِئُوا الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ - بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ - وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ - لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ - فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا

القسم المتقدم (بلى) تقديره نجمها (قادرين) منصوب على الحال من الضمير في نجمع والتقدير نجمعها ونحن قادرون (على أن نسوي بنائه) البنان الأصابع ، وفي المعنى قولان : أحدهما أنه إخبار بالقدرة على البعث أى قادرين على أن نسوي أصابعه أى نخلفها بعد فنائها مستوية متقنة ، وإنما خص الأصابع دون سائر الأعضاء لدقة عظامها وتفرقها والآخر أنه تهديد في الدنيا ، أى قادرين على أن نجعل أصابعه مستوية ملتصقة كيد الحمار وخف الجمل فلا يمكنه تصريف يديه في منفعته والأول أليق بسياق الكلام (بل يريد الإنسان ليفجر أمامه) هذه الجملة معطوفة على أيحسب الإنسان ، ويجوز أن يكون استفهاما مثلها أو تكون خبرا وليست بل هنا للإضراب عن الكلام الأول بمعنى إبطاله وإنما هي للخروج منه إلى ما بعده ، ليفجر معناه ليفعل أفعال الفجور وفي معنى أمامه ثلاثة أقوال : أحدها أنه عبارة عما يستقبل من الزمان ، أى يفجر بقية عمره الثاني أنه عبارة عن اتباع أغراضه وشهواته يقال مشى فلان قدماه إذا لم يرجع عن شيء يريد به والضمير على هذين القولين يعود على الإنسان ، الثالث أن الضمير يعود على يوم القيامة والمعنى يريد الإنسان أن يفجر قبل يوم القيامة (يسأل أيان يوم القيامة) أيان معناها متى وهذا السؤال على يوم القيامة هو على وجه الاستخفاف والاستبعاد (برق البصر) هذا إخبار عن يوم القيامة ، وقيل عن حالة الموت وهذا خطأ لأن القمر لا يخسف عنده وت أحد ، ولا يجمع بينه وبين الشمس وبرق بفتح الراء معناه لمع وصار له برق ، وقرئ بكسر الراء ومعناه تحير من الفزع ، وقيل معناه شخص في تقارب معنى الفتح والكسر (وخسف القمر) ذهب ضوؤه ، يقال خسف هو وخسفه الله والخسوف للقمر والكسوف للشمس ، وقيل الكسوف ذهاب بعض الضوء ، والخسوف ذهاب جميعه وقيل بمعنى واحد (وجمع الشمس والقمر) في جمعها ثلاثة أقوال : أحدها أنها يجمعان حيث يطالعهما الله من المغرب ، والآخر أنها يجمعان يوم القيامة ، ثم ينفقان في النار ، وقيل في البحر ، فتكون النار الكبرى . الثالث أنها يجمعان فيذهب ضوءهما (لا وزر) أى لا ملجأ ولا مغيث (بما قدم وأخر) أى بجميع أعماله ما قدم منها في أول عمره وما أخر في آخره ، وقيل ما تقدم في حياته وما أخر من سنة أو وصية بعد مماته ، وقيل ما قدم لنفسه من ماله وما أخر منه لورثته (بل الإنسان على نفسه بصيرة) في معناه قولان : أحدهما : أنه شاهد على نفسه بأعماله إذ تشهد عليه جوارحه يوم القيامة ، والآخر : أنه حجة بينة لأن خلقته تدل على خالقه فوصف بالبصيرة مجازا لأن من نظر فيه أبصر الحق ، والأول أليق بما قبله وما بعده كأنه قال ينبئ الإنسان يومئذ بأعماله بل هو يشهد بأعماله وإن لم ينبأ بها ، وكذلك يلتئم مع قوله ولو ألقى معاذيره ، ويكون هو جواب لو حسبا نذكره (ولو ألقى معاذيره) فيه قولان ، أحدهما : أن المعاذير الأعذار أى الإنسان يشهد على نفسه بأعماله ولو اعتذر عن قبائحها والآخر أن المعاذير الستور أى الإنسان يشهد على نفسه يوم القيامة ولو سدل الستور على نفسه في الدنيا حين يفعل القبائح (لا تحرك به لسانك لتعجل به) الضمير في به يعود على القرآن

بَيَانُهُ • كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ • وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ • وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ • إِلَىٰ رَبِّهَا نَازِرَةٌ • وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ
بَاسِرَةٌ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ • كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ • وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ • وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ • وَالتَّتِثَتِ السَّاقُ
بِالسَّاقِ • إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ • فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّىٰ * وَلَكِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّىٰ • ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ

دلت على ذلك قرينة الحال وسبب الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل عليه جبريل بالقرآن يحرك به شفتيه مخافة أن ينسأه لحينه ، فأمره الله أن ينصت ويستمع ، وقيل كان يخاف أن ينسى القرآن فكان يدرسه حتى غلب عليه ذلك وشق عليه فنزلت الآية والأول هو الصحيح لأنه ورد في البخاري وغيره (إن علينا جمعه وقرآنه) ضمن الله له أن يجمعه في صدره فلا يحتاج إلى تحريك شفتيه عند نزوله ، ويحتمل قرآنه هنا وجهين ، أحدهما : أن يكون بمعنى القراءة فإن القرآن قد يكون مصدرا من قرأت ، والآخر : أن يكون معناه تأليفه في صدره فهو مصدر من قولك قرأت الشيء أى جمعته (فإذا قرأناه فاتبع قرآنه) أى إذا قرأه جبريل فاجعل قراءة جبريل قراءة الله لأنها من عنده ، ومعنى اتبع قرآنه اسمع قراءته واتبعها بذهنك لتحفظها ، وقيل اتبع القرآن فى الأوامر والنواهي (ثم إن علينا بيانه) أى علينا أن نبينه لك ونجعلك تحفظه ، وقيل علينا أن نبين معانيه وأحكامه ، فإن قيل ما مناسبة قوله لا تحرك به لسانك الآية لما قبلها فالجواب أنه لعله نزل معه فى حين واحد فجعل على ترتيب النزول (بل تحبون العاجلة) أى تحبون الدنيا ، وهذا الخطاب توبيخ للكفار ومن كان على مثل حالهم فى حب الدنيا وكلا ردع عن ذلك (وجوه يومئذ ناضرة) بالضاد أى ناعمة ، ومنه نضرة النعيم (إلى ربها نازرة) هذا من النظر بالعين ، وهو نص فى نظر المؤمنين إلى الله تعالى فى الآخرة وهو مذهب أهل السنة ، وأنكره المعتزلة وتأولوا نازرة بأن معناها منتظرة ، وهذا باطل لأن نظر بمعنى انتظار يتعدى بغير حرف جر ، تقول نظرتك أى انتظرتك ، وأما المتعدى بإلى فهو من نظر العين ، ومنه قوله ومنهم من ينظر إليك وقال بعضهم إلى هنا ليست بحرف جر وإنما هى واحد الآلاء بمعنى النعم وهذا تكلف فى غاية البعد ، وتأوله الزمخشري بأن معناه كقول الناس فلان ناظر إلى فلان إذا كان يرتجيه ويتعلق به وهذا بعيد وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم فى النظر إلى الله أحاديث صحيحة مستفيضة صريحة المعنى لا تحتمل التأويل فهى تفسير الآية (باسرة) أى عابسة تظهر عليها الكآبة والبسور أشد من العبوس (تظن أن يفعل بها فاقرة) أى مصيبة قاصمة الظهر والظن هنا يحتمل أن يكون على أصله أو بمعنى اليقين (إذا بلغت التراقي) يعنى حالة الموت والتراقي جمع ترقوة وهى عظام أعلى الصدر والفاعل يبلغ نفس الإنسان دل على ذلك سياق الكلام وهو عبارة عن حال الحشرة وسياق الموت (وقيل من راق) أى قال أهل المريض من يرقه عسى أن يشفيه وقيل معناه أن الملائكة تقول من يرقى بروحه أى يصعد بها إلى السماء فالأول من الرقية وهو أشهر وأظهر والثانى من الرقى وهو العلو (وظن أنه الفراق) أى تيقن المريض أن ذلك الحال فراق الدنيا وفراق أهله وماله (والتفت الساق بالساق) هذا عبارة عن شدة كرب الموت وسكراته أى التفت ساقه على الأخرى عند السياق وقيل هو مجاز كقوله كشفت الحرب عن ساقها إذا اشتدت وقيل معناه ماتت ساقه فلا تحمله وقيل التفت أى لفها الكافر إذا كفر وفى قوله الساق والمساق ضرب من ضروب التجنيس (إلى ربك يومئذ المساق) هذا جواب

يَتَمَطَّى * أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ * ثُمَّ أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ * أَحْسَبُ الْإِنْسَانَ أَنْ يَتْرَكَ سُدَىٰ * أَلَمْ يَكُ نَظْفَةً مِّن مَّنَىٰ *
يَمْنَىٰ * ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً خَلَقَ فَسَوَىٰ * فجعل منه الزوجين الذكروا والأنثى * أليس ذلك بقدر على أن يحيى الموتى *

سورة الإنسان

مدينة وآياتها ٣١ نزلت بعد الرحمن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا * إِنَّا خَلَقْنَا
الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا * إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا * إِنَّا

إذا بلغت التراقي والمساق مصدر من السوق كقوله إلى الله المصير (فلا صدق ولا صلي) لاهنا نافية
وصدق هنا يحتمل أن يكون من التصديق بالله ورسله أو من الصدقة ونزلت هذه الآية وما بعدها في أبي
جهل (يتمطى) أى يتبختر في مشيته وذلك عبارة عن التكبر والخيلاء وكانت هذه المشية معروفة في بني
مخزوم الذين كان أبو جهل منهم (أولى لك) وعيد وتهديد (فأولى) وعيد ثان ثم كرر ذلك تأكيداً وروى أن
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لبب أبا جهل وقال له إن الله يقول لك أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى
فنزّل القرآن بموافقة ذلك (أحسب الإنسان أن يترك سدى) هذا توبيخ ومعناه أیظن أن يترك من غير بعث
ولا حساب ولا جزاء ، فهو كقوله : أحسبتم أنما خلقناكم عبثاً ، والإنسان هنا جنس ، وقيل نزلت في
أبي جهل ولا يبعد أن يكون سببها خاصاً ومعناها عام (ألم يك نطفة من منى) النطفة النقطة وتمنى من
قولك أمنى الرجل ومعنى الآية الاستدلال بخلقه الإنسان على بعثه كقوله : قل يحييها الذى أنشأها أول مرة
والعلقة الدم لأن المنى يصير فى الرحم دماً (خلق فسوى) أى خلقه بشراً فسوى صورته أى أتقنها (أليس
ذلك بقادر على أن يحيى الموتى) هذا تقرير واحتجاج ، وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا
قرأ آخر هذه السورة قال بلى وفى رواية سبحانه اللهم بلى

سورة الإنسان

(هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً) هل هنا بمعنى التقرير لا مجرد الاستفهام ،
وقيل هل بمعنى قل ، والإنسان هنا جنس ، والحين الذى أتى عليه حين كان معدوماً قبل أن يخلق ، وقيل
الإنسان هنا آدم والحين الذى أتى عليه حين كان طيناً قبل أن ينفخ فيه الروح وهذا ضعيف لوجهين أحدهما
قوله «إنا خلقنا الإنسان من نطفة» وهو هنا جنس باتفاق إذ لا يصح هنا فى آدم ، والآخر أن مقصد الآية تحقير
الإنسان (من نطفة أمشاج) أى أخلط واحدها مشج بفتح الميم والشين وقيل مشج بوزن عدل ، وقال
الزحشرى ليس أمشاج بجمع وإنما هو مفرد كقولهم برمة أعشار ، ولذلك أوقع صفة للمفرد واختلف
فى معنى الأخلط هنا فقيل اختلاط الدم والبلغم والصفراء والسوداء ، وقيل اختلاط ماء الرجل والمرأة
وروى أن عظام الإنسان ، وعصبه من ماء الرجل ، وأن لحمه وشحمه من ماء المرأة ، وقيل معناه ألوان وأطوار
أى يكون نطفة ثم علقه ثم مضغة (نبتليه) أى نخبره وهذه الجملة فى موضع الحال أى خلقناه مبتلين له وقيل

أَعْبَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلْسَلًا وَأَغْلَلَّا وَسَعِيرًا . إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا . عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادَ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا . يُوفُونَ بِالْأَنْذَرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا . وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا . إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا . إِنَّا نَخَافُ مِنْ

معناه نصرفه في بطن أمه نطفة ثم علقه (فجعلناه سميعا بصيرا) هذا معطوف على خلقنا الانسان ومن جعل نبتليه بمعنى نصرفه في بطن أمه فهذا عطف عليه ، وقيل أن نبتليه مؤخر في المعنى أى جعلناه سميعا بصيرا لنبتليه وهذا تكلف بعيد (إنا هديناه السبيل) أى سبيل الخير والشر ولذلك قسم الانسان إلى قسمين شاكر أو كفورا وهما حالان من الضمير فى هديناه والهدى هنا بمعنى بيان الطريقين وموهبة العقل الذى يميز به بينهما ويحتمل أن يكون بمعنى الارشاد أى هدى المؤمن للإيمان والكافر للكفر قل كل من عند الله (سلاسل) من قرأه بغير تنوين فهو الأصل إذ هو لا ينصرف لأنه جمع لا نظيره فى الأحاد ومن قرأه بالتنوين فله ثلاث توجيهات أحدها أنها لغة لبعض العرب يصرفون كل ما لا ينصرف إلا أفعل والآخر أن النون بدل من حرف الاطلاق وأجرى الوصل مجرى الوقف والثالث أن يكون صاحب هذه القراءة راوية للشعر قد عدو لسانه صرف ما لا ينصرف فجرى على ذلك (الأبرار) جمع بار أو بر ومعناه العاملون بالبر وهو غاية التقوى والعمل الصالح حتى قال بعضهم الأبرار هم الذين لا يؤذون الذر (من كأس) ذكر فى الصفات معنى الكأس ومن هنا يحتمل أن تكون للتبعية أو الابتداء الغاية (مزاجها كافورا) أى تمزج الخمر بالكافور وقيل المعنى أنه كافور فى طيب رائحته كما تمدح طعاما فنقول هذا مسك (عينا) بدل من كافورا على القول بأن الخمر تمزج بالكافور أو بدل من موضع من كأس على القول الآخر كأنه قال يشربون خمر اخر عين وقيل هو مفعول يشربون وقيل منصوب بإضمار فعل (يشرب بها) قال ابن عطية الباء زائدة والمعنى يشربها وهذا ضعيف لأن الباء إنما تزداد فى مواضع ليس هذا منها وإنما هى كقولك شربت الماء بالعسل لأن العين المذكورة تمزج بها الكأس من الخمر (عباد الله) وصفهم بالعبودية وفيه معنى التثريف والاختصاص . كقوله وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا (يفجرونها تفجييرا) أى يفجرونها حيث شاؤوا من منازلهم تفجييرا سهلا لا يصعب عليهم وفى الأثر أن فى قصر النبي صلى الله عليه وسلم فى الجنة عينا تفجر إلى قصور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والمؤمنين (مستطيرا) أى منتشرا شائعا ومنه استطار الفجر إذا انشق ضوءه (ويطعمون الطعام) نزلت هذه الآية وما بعدها فى على بن أبى طالب وفاطمة والحسن والحسين رضى الله عنهم فإنهم كانوا صائمين فلما وضعوا فطورهم لياكلوه جاء مسكين فرفعه له وباتوا طاوين وأصبحوا صائمين فلما وضعوا فطورهم لياكلوه جاء يتيم فدفعوه له وباتوا طاوين وأصبحوا صائمين فلما وضعوا فطورهم لياكلوه جاء أسير فدفعوه له وباتوا طاوين والآية على هذا مدنية لأن عليا إنما تزوج فاطمة بالمدينة وقيل إنما هى مكية وليست فى على (على حبه) الضمير للطعام أى يطعمونه مع حبه والحاجة إليه فهو كقوله ان تناولوا البرحتى تنفقوا مما تحبون وقوله ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة فى قوله على حبه تتميم وهو من أدوات البيان وقيل الضمير لله وقيل للإطعام المفهوم من يطعمون والأول أرجح وأظهر (مسكينا) ويتيما وأسيرا) قد ذكرنا المسكين واليتيم وأما الأسير ففيه خمسة أقوال أحدها أن الأسير الكافر بين المسلمين فى إطعامه أجر لأنه فى كل ذى كبد رطبة أجر وقيل نسخ ذلك بالسيف والآخر أنه الأسير المسلم إذا

رَبَّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَطَطِيرًا ۖ قَوْفَهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۖ وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ۖ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرُونَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ۖ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذِيلًا ۖ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِبَآئِنَةٍ مِّنْ فَضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ۖ قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ قَدَرُوهَا تَقْدِيرًا ۖ

خرج من دار الحرب لطلب الفدية والثالث أنه المملوك الرابع أنه المسجون الخامس أنه المرأة لقوله صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا لأنهن عوان عندكم وهذا بعيد والاول أرجح لأنه روى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يؤتى بالأسير المشرك فيدفعه إلى بعض المسلمين ويقول له أحسن إليه (إنما نطعمكم لوجه الله) عبارة عن الإخلاص لله ولذلك فسروه وأكدوه بقولهم لا نريد منكم جزاء ولا شكورا والشكور مصدر كالشكر ويحتمل أنهم قالوا هذا الكلام بالسنة أو قالوه في نفوسهم فهو عبارة عن النية والقصد (يوما عبوسا) وصف اليوم بالعبوس مجاز على وجهين أحدهما أن يوصف اليوم بصفة أهله كفولهم نهاره صائم وليله قائم وروى أن الكافر يعبس يومئذ حتى يسيل الدم من عينيه مثل القطران والآخر يشبهه في شدته بالأسد العبوس (قططيرا) قال ابن عباس معناه طويل وقيل شديد (ولقاهم نضرة وسرورا) النضرة التمتع وهذا في مقابلة عبوس الكافر وقوله وقاهم ولقاهم من أدوات البيان (بما صبروا) أى بصبرهم على الجوع وإيثار غيرهم على أنفسهم حسبما ذكرنا من قصة على وفاطمة والحسن والحسين رضى الله عنهم ، وقد ذكرنا الأرائك (لا يرون فيها شمسًا ولا زمهريرا) عبارة عن اعتدال هوائها أى ليس فيها حر ولا برد ، والزمهرير هو البرد الشديد ، وقيل هو القمر بلمعة طية ، والمعنى على هذا أن الجنة ضياء فلا يحتاج فيها إلى شمس ولا قمر (ودانية عليهم ظلالها) معناه أن ظلال الأشجار متدلية عليهم قريبة منهم وإعراب دانية معطوف على متكئين ، وقال الزمخشري هو معطوف على الجملة التى قبلها وهى لا يرون فيها شمسًا ولا زمهريرا ، لأن هذه الجملة فى حكم المفرد تقديره غير رائيين فيها شمسًا ولا زمهريرا ودانية ، ودخلت الواو للدلالة على أن الأمرين يجتمعان لهم أى جامعين بين البعد عن الحر والبرد وبين دنو الظلال ، وقيل هو صفة الجنة عطف بالواو كقولك فلان عالم وصالح وقيل هو معطوف عليها أى وجنة أخرى دانية عليهم ظلالها (وذلت قُطُوفُهَا تَذِيلًا) القُطُوف جمع قُطْف وهو العنقود من النخل والعنب ، وشبه ذلك ، وتذليلها هو أن تتدلى إلى الأرض ، وروى أن أهل الجنة يقطعون الفواكه على أى حال كانوا من قيام أو جلوس أو اضطجاع ، لأنها تتدلى لهم كما يريدون ، وهذه الجملة فى موضع الحال من دانية ، أى دانية فى حال تذليل قُطُوفُهَا أو معطوفة عليها (بآنية) هى جمع إناء ووزنها أفعله وقد ذكرنا الأكواب فى الواقعة (قوارير) القوارير هى الزجاج ، فإن قيل كيف يتفق أنها زجاج مع قوله من فضة ؟ فالجواب : أن المراد أنها فى أصلها من فضة وهى تشبه الزجاج فى صفاتها وشفيفها ، وقيل هى من زجاج وجعلها من فضة على وجه التشبيه لشرف الفضة وبياضها ومن قرأ قوارير بغير تنوين فهو على الأصل ومن نونه فعلى ما ذكرنا فى سلاسل (قدروها تقديرًا) هذه صفة للقوارير والمعنى قدروها على قدر الأكواب أو على قدر ما يحتاجون من الشراب قال مجاهد : هى لا تفيض ولا تفيض ، وقيل قدروها على حسب ما يشتهون ، والضمير الفاعل فى قدروها

وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ۖ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ۚ وَيَطْوَفُ عَلَيْهِمْ وَلَدَانِ يَخْلُدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حِسْبَتُهُمْ لُؤْلُؤًا مَثُورًا ۚ وَإِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ لَعِينًا وَمَلَكًا كَبِيرًا ۚ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُوعٌ أَصَاوِرٌ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ۚ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ۚ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ۚ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ۚ وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۚ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ۚ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ

يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ لِلشَّارِبِينَ بِهَا أَوْ لِلطَّائِفِينَ بِهَا (مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا) هُوَ كَمَا ذَكَرْنَا فِي مِزَاجِهَا كَافُورًا (سَلْسَبِيلًا) مَعْنَاهُ سَلْسِلٌ مُنْقَادٌ الْجَرِيَّةُ ، وَقِيلَ سَهْلُ الانْحِدَارِ فِي الْحَلْقِ ، يُقَالُ شَرَابٌ سَلْسِلٌ وَسَلْسَالٌ وَسَلْسَبِيلٌ بِمَعْنَى وَاحِدٍ وَزِيدَتْ الْبَاءُ فِي التَّرَكِيبِ لِلْمِبالِغَةِ فِي سَلَاسَتِهِ فَصَارَتِ الْكَلِمَةُ خَمَاسِيَّةً ، وَقِيلَ سَلْ فَعْلٌ أَمْرٌ سَبِيلًا مَفْعُولٌ بِهِ وَهَذَا فِي غَايَةِ الضَّعْفِ (وَلَدَانِ يَخْلُدُونَ) ذَكَرَ فِي الْوَاقِعَةِ (لُؤْلُؤًا مَثُورًا) مُشَبَّهٌ بِاللُّؤْلُؤِ فِي الْحُسْنِ وَالْبَيَاضِ وَبِالْمُنْشَرِّ مِنْهُ فِي كَثَرَتِهِمْ وَانْتِشَارِهِمْ فِي الْقُصُورِ (وَإِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ) مَفْعُولٌ رَأَيْتَ مُحذوفٌ لِيَكُونَ الْكَلَامُ عَلَى الْإِطْلَاقِ فِي كُلِّ مَا يَرَى فِيهَا وَثُمَّ ظَرَفَ مَكَانَ ، وَقَالَ الْفَرَاءُ تَقْدِيرُهُ إِذَا رَأَيْتَ مَا تَمُّ فَمَفْعُولَةٌ ثُمَّ حَذَفْتَ ، قَالَ الزَّمَخَشَرِيُّ وَهَذَا خُطَابٌ لِأَنَّهُ ثُمَّ صَلَّةٌ لَهَا وَلَا يَحُوزُ حَذْفُ الْمَوْصُولِ وَتَرَكَ الصَّلَةَ (مَلَكًا كَبِيرًا) يَعْنِي كَثْرَةَ مَا عَظَّمَهُ اللَّهُ حَتَّى إِنْ أَدْنَى أَهْلَ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشْرَةَ أَمْثَالِهِ مَعَهُ ، حَسْبًا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ وَقِيلَ أَرَادَ أَنْ الْمَلَائِكَةُ تَسْلِمُ عَلَيْهِمْ ، وَتَسْتَأْذِنُ عَلَيْهِمْ ، فَهَمُ بِذَلِكَ كَالْمُلُوكِ (عَالِيَهُمْ) بِسُكُونِ الْيَاءِ مُبْتَدَأُ خَبَرِهِ (ثِيَابٌ سُنْدُسٌ) أَيُّ مَا يَعْلَمُوهُمْ مِنَ الثِّيَابِ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ ، وَقُرِئَ بِالنَّصْبِ عَلَى الْحَالِ ، مِنَ الضَّمِيرِ فِي يَطْوَفُ عَلَيْهِمْ أَوْ فِي حِسْبَتِهِمْ . وَقَالَ ابْنُ عَطِيَّةٍ الْعَامِلُ فِيهِ لِقَائِهِمْ أَوْ جَزَائِهِمْ ، وَقَالَ أَيْضًا يَحُوزُ أَنْ يَنْتَصِبَ عَلَى الظَّرْفِ لِأَنَّهُ مَعْنَاهُ فَوْقَاهُمْ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا مَعْنَى السُّنْدُسِ وَالْإِسْتَبْرَقِ وَقُرِئَ (خُضْرٌ) بِالخَفْضِ صِفَةً لِسُنْدُسٍ وَبِالرَّفْعِ صِفَةً لثِيَابِ (وَإِسْتَبْرَقٌ) بِالرَّفْعِ عَطْفٌ عَلَى ثِيَابٍ ، وَبِالْخَفْضِ عَطْفٌ عَلَى سُنْدُسٍ (وَحُلُوعٌ) وَزَنَهُ فَعَلُوا مَعْنَاهُ جَعَلَ لَهُمْ حَلِي (أَسَاوِرٌ مِنْ فِضَّةٍ) ذَكَرْنَا الْأَسَاوِرَ فِي الْكَهْفِ ، فَإِنْ قِيلَ كَيْفَ قَالَ هُنَا أَسَاوِرٌ مِنْ فِضَّةٍ ، وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ أَسَاوِرٌ مِنْ ذَهَبٍ ؟ فَالْجَوَابُ أَنَّ ذَلِكَ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ دَرَجَاتِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آتِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا وَجَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آتِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا فَفَعَلَ الذَّهَبُ لِلْمُقَرَّبِينَ ، وَالْفِضَّةُ لِأَهْلِ الْيَمِينِ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ أَهْلُ الْجَنَّةِ لَهُمْ أَسَاوِرٌ مِنْ فِضَّةٍ وَمِنْ ذَهَبٍ مَعًا (شَرَابًا طَهُورًا) أَيُّ لَيْسَ بِنَجَسٍ كَخَمَرِ الدُّنْيَا ، وَقِيلَ مَعْنَاهُ أَنَّهُ لَمْ تَعَصِرْهُ الْأَقْدَامُ ، وَقِيلَ مَعْنَاهُ لَا يَصِيرُ بُولًا (إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً) أَيُّ يُقَالُ لَهُمْ هَذَا يَقْرَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَالْمَلَائِكَةُ (آثِمًا أَوْ كَفُورًا) أَوْ هُنَا لِلتَّنْوِيعِ فَالْمَعْنَى لَا تُطِعِ النَّوَاعِينَ ، فَاعْلَمْ لِلْإِثْمِ وَلَا كَفُورًا ، وَقِيلَ هِيَ بِمَعْنَى الْوَاوِ أَيْ جَامِعًا لِلْوَصْفَيْنِ لِأَنَّ هَذِهِ هِيَ حَالَةُ الْكُفَّارِ ، وَرَوَى أَنَّ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي أَبِي جَهْلٍ ، وَقِيلَ أَنَّ الْآثِمَ عَتَبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ ، وَالْكَفُورَ الْوَلِيدُ بْنُ الْمَغِيرَةِ ، وَالْأَحْسَنُ أَنَّهَا عَلَى الْعُمُومِ ، لِأَنَّ لَفْظَهَا عَامٌ ، وَإِنْ كَانَ سَبَبُ نَزُولِهَا خَاصًا (بُكْرَةً وَأَصِيلًا) هَذَا أَمْرٌ بِذِكْرِ اللَّهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ ، وَقِيلَ إِشَارَةٌ إِلَى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ ، فَالْبُكْرَةُ صَلَاةُ الصُّبْحِ ، وَالْأَصِيلُ الظُّهْرُ وَالْعَصْرُ ، وَمِنَ اللَّيْلِ الْمَغْرِبُ وَالْعِشَاءُ (إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ) أَيُّ الدُّنْيَا وَالْإِشَارَةُ إِلَى

وَرَأَوْهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ۖ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا ۚ إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ۚ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۚ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۚ

سورة المرسلات

مكية إلا آية ٤٨ فمدنية وآياتها ٥٠ نزلت بعد الهزمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ وَالْمُرْسَلَاتُ عُرْفًا ۝ فَالْعَصْفَاتُ ۝ وَالنَّاشِرَاتُ نَشْرًا ۝ فَالْفَرْقَاتُ ۝ فَرَقًا ۝ فَالْمُلْقَاتُ ۝ ذِكْرًا ۝ عَذْرًا أَوْ نَذْرًا ۝ إِنَّمَا تُوْعَدُونَ لَوَاقِعَ ۝ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ۝ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ۝

الكفار واليوم الثقيل يوم القيامة ، ووصفه بالثقل عبارة عن هوله وشدته (وشددنا أسرهم) الأسر الخلقه وقيل المفاصل والأوصال ، وقيل القوة (بدلنا أمثالهم تبديلا) أى أهلكتناهم وأبدلنا منهم غيرهم وقيل مسخناهم فبدلنا صورهم وهذا تهديد (إن هذه تذكرة) الإشارة إلى الآية أو السورة أو الشريعة بجملتها (فمن شاء) تحضيض وترغيب ثم قيد مشيئتهم بمشيئة الله (والظالمين) منصوب بفعل مضمر تقديره ويعذب الظالمين

سورة المرسلات

اختلف في معنى المرسلات والعاصفات والناشرات والفارقات على قولين : أحدهما أنها الملائكة والآخر أنها الرياح فعلى القول بأنها الملائكة سماهم المرسلات لأن الله تعالى يرسلهم بالوحي وغيره وسماهم العاصفات لأنهم يعصفون كما تعصف الرياح في سرعة مضهم إلى امتثال أو امر الله تعالى ، وسماهم ناشرات لأنهم ينشرون أجنحتهم في الجو ، وينشرون الشرائع في الأرض ، أو ينشرون صحائف الأعمال وسماهم الفارقات لأنهم يفرقون بين الحق والباطل ، وعلى القول بأنها الرياح ، سماها المرسلات لقوله : الله الذى يرسل الرياح ، وسماها العاصفات من قوله ريح عاصف أى شديدة وسماها الناشرات لأنها تنشر السحاب في الجو ومنه قوله يرسل الرياح فتشير سحابا وسماها الفارقات لأنها تفرق بين السحاب ومنه قوله فيجعله كسفا وأما الملقيات ذكرنا فهم الملائكة لأنهم يلقون الذكر للأنبياء عليهم السلام والأظهر في المرسلات والعاصفات أنها الرياح لأن وصف الريح بالعصف حقيقة والأظهر في الناشرات والفارقات أنها الملائكة لأن الوصف بالفارقات أليق بهم من الرياح ولأن الملقيات المذكورة بعدها هى الملائكة ولم يقل أحد أنها الرياح ولذلك عطف المتجانسين بالغاء فقال والمرسلات فالعاصفات ثم عطف ما ليس من جنسها بالواو فقال والناشرات ثم عطف عليه المتجانسين بالغاء وقد قيل في المرسلات والملقىات أنهم الأنبياء عليهم السلام (عرفا) معناه فضلا وإنعاما واتصابه على أنه مفعول من أجله وقيل معناه متتابعة وهو مصدر في موضع الحال وأما عصفوا نشرا و فرقا فصادر وأما ذكرنا فمفعول به (عذرا أو نذرا) العذر فسر ابن عطية وغيره بمعنى إغذار الله إلى عباده لئلا تبقى لهم حجة أو عذر وفسره الزمخشري بمعنى الاعتذار يقال عذر إذا محا الإساءة وأما نذرا فمن الإنذار وهو التخويف وقرئ بضم الذال في الموضعين وبإسكانها ويحتمل أن يكونا مصدرين فيكون نصهما على البدل من ذكرنا أو مفعولا بذكرنا ويحتمل أن

وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ • وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْتَتْ • لَأَيَّ يَوْمٍ أَجَلَتْ • لِيَوْمِ الْفَصْلِ • وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ •
وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ • أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ • ثُمَّ نَتَّبِعُهُمُ الْآخِرِينَ • كَذَلِكَ نَفْعِلُ بِالْمُجْرِمِينَ • وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِلْمُكَذِّبِينَ • أَلَمْ تَخْلُقْهُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ • فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ • إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ • فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ •
وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ • أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا • أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا • وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شُمْخَتٍ
وَاسْتَقَيْنَاكُمْ مَّاءً فُرَاتًا • وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ • أَنْطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ • أَنْطَلِقُوا إِلَىٰ أَظْلَىٰ ثَلَاثِ
شُعَبٍ • لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ • إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ • كَأَنَّهُ جَمَلٌ صَفَرٌ • وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ •

يكون عذر أجمع عذير أو عاذر ونذرا جمع نذير فيكون نصيبهما على الحال (لأنما توعدون لواقع) يعني البعث والجزاء
وهو جواب القسم (فإذا النجوم طمست) أي زال ضوءها وقيل بحيث (وإذا السماء فرجت) أي انشقت (وإذا الجبال
نسفت) أي صارت غبارا (وإذا الرسل أقتت) أي جعل لها وقت معلوم فخان ذلك الوقت وجمعت للشهادة على الأمم
يوم القيامة وقرئ وقتت بالواو وهو الأصل والهمزة بدل من الواو (لأي يوم أجلت) هو من الأجل كما أن التوقيت
من الوقت وفيه توقيف يراد به تعظيم لذلك اليوم ثم يبينه بقوله (ليوم الفصل) أي يفصل فيه بين العباد ثم عظمه
بقوله (وما أدراك ما يوم الفصل) ويل يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ تكراره في هذه السورة قيل إنه تأكيد وقيل بل في كل
آية ما يقتضي التصديق بظاهرها ويل يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ راجعا إلى ما قبله في كل موضع منها (ألم نهلك الأولين) يعني الكفار
المتقدمين كقوم نوح وغيرهم (ثم نتبعهم الآخرين) يعني قريشا وغيرهم من الكفار بمحمد صلى الله عليه وسلم
وهذا وعيد لهم ظهر مصداقه يوم بدر وغيره (كذلك نفعل بالمجرمين) أي مثل هذا الفعل نفعل بكل مجرم
يعني الكفار (ألم نخلقكم من ماء مهين) يعني الماء، والمهين الضعيف (فجعلناه في قرار مكين) يعني رحم المرأة
وبطنها (إلى قدر معلوم) يعني وقت الولادة وهو معلوم عند تسعة أشهر أو أقل منها أو أكثر (فقدروا)
بالتشديد من التقدير وبالتخفيف من القدرة فإذا كان من القدرة اتفق مع قوله فنعلم القادرون وإذا كان من
التقدير فهو تجنيس (ألم نجعل الأرض كفاتا أحياء وأمواتا) الكفات من كفت إذا ضم وجمع فالمعنى أن
الأرض تسكت الأحياء على ظهرها والموتى في بطنها وانتصب أحياء وأمواتا على أنه مفعول بكفاتا لأن
الكفات اسم لما يضم ويجمع فكأنه قال جامعة أحياء وأمواتا ويجوز أن يكون المعنى تسكتهم أحياء وأمواتا
فيكون نصيبهما على الحال من الضمير وإنما نكر أحياء وأمواتا للتفخيم ودلالة على كثرتهم (رواسي) يعني
الجبال (شامخات) أي مرتفعات (ماء فراتا) أي حلوا (انطلقوا) خطاب للمكذبين وقرأ يعقوب بفتح اللام
على أنه فعل ماض ثم كرره لبيان المنطلق إليه (إلى ظل) يعني دخان جهنم ومنه ظل من يحوم (ذي ثلاث
شعب) أي يتفرع من الدخان ثلاث شعب فتظلمهم بينما يكون المؤمنون في ظلال العرش وقيل إن هذه
الآية في عبدة الصليب لأنهم على ثلاث شعب فيقال لهم انطلقوا إليه (لا ظليل) نفي عنه أن يظلمهم كما يظلم
العرش المؤمنون ونفي أيضا أن يمنع عنهم اللهب (لأنها ترمي بشرر كالقصر) الضمير في أنها لجهنم والقصر
واحد القصور وهي الديار العظام شبه الشرر به في عظمتها وارتفاعه في الهواء وقيل هو الغليظ من الشجر

هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطُقُونَ • وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَدُونَ • وَيَلُ يَوْمَئِذٍ لِلْكَذِبِينَ • هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَعَلْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ • فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا • وَيَلُ يَوْمَئِذٍ لِلْكَذِبِينَ • إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعِیُونَ • وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ • كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ • إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ • وَيَلُ يَوْمَئِذٍ لِلْكَذِبِينَ • كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ بِجُرْمٍ • وَيَلُ يَوْمَئِذٍ لِلْكَذِبِينَ • وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ • وَيَلُ يَوْمَئِذٍ لِلْكَذِبِينَ • فَبَأَى حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ •

سورة النبأ : مكية وآياتها ٤٠ نزلت بعد المعارج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ • عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ • عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ • الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ • وَلَا سَعِيْلُونَ • ثُمَّ

واحد قصرة بكسرة وجر (كأنه جمالت صفر) في الجملات قولان أحدهما أنها جمع جمال شبه بها الشرر وصفر على ظاهره لأن لون النار يضرب إلى الصفرة وقيل صفر هنا بمعنى سود يقال جعل أصفر أى أسود وهذا البق بوصف جهنم الثاني أن الجملات قطع النحاس الكبار فكأنه مشتق من الجملة وقرئ جمالات بضم الجيم وهى فلوس السفن وهى حبالها العظام (هذا يوم لا ينطقون) هذا فى مواطن وقد يتكلمون فى مواطن آخر لقوله يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها (فإن كان لكم كيد فسيكيدون) تعجيز لهم وتعريض بكيدهم فى الدنيا وتقريع عليه (كلوا واشربوا) يقال لهم ذلك فى الجنة بلسان الحال أو بلسان المقال (هنيئاً بما كنتم تعملون) نصب هنيئاً على الحال أو على الدعاء (كلوا وتمتعوا) خطاب للكفار على وجه التهديد تقديره قل لهم كلوا وتمتعوا قليلاً فى الدنيا (وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون) هذا لإخبار عن حال الكفار فى الدنيا وذكر الركوع عبارة عن الصلاة وقيل معنى اركعوا اخشعوا وتواضعوا وقيل هو إخبار عن حال المنافقين يوم القيامة لأنهم إذا قيل لهم اركعوا لا يقدرّون على الركوع كقوله ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون والأول أشهر وأظهر (فبأى حديث بعده يؤمنون) الضمير للقرآن

سورة النبأ

(عم يتساءلون) أصل عم عن مائمه أدغمت النون فى الميم وحذفت ألف مالا أنها استفهامية تقديرها عن أى شيء يتساءلون وليس المراد بها هنا مجرد الاستفهام وإنما المراد تفخيم الأمر والضمير فى يتساءلون لكفار قریش أو لجميع الناس ومعناه يسأل بعضهم بعضاً (عن النبأ العظيم) هو ما جاءت به الشريعة من التوحيد والبعث والجزاء وغير ذلك ويتعلق عن النبأ بفعل محذوف يفسره الظاهر تقديره يتساءلون عن النبأ ووقعت هذه الجملة جواباً عن الاستفهام وبياناً للسؤال عنه كأنه لما قال عم يتساءلون أجاب فقال يتساءلون عن النبأ العظيم وقيل يتعلق عن النبأ يتساءلون الظاهر والمعنى على هذا لاى شيء يتساءلون عن النبأ العظيم والأول أفصح وأبرع وينبغى على ذلك أن يوقف على قوله عم يتساءلون (الذى هم فيه مختلفون) إن كان الضمير فى يتساءلون لكفار قریش فاختلفهم أن منهم من يقطع بالكذب ومنهم من يشك أو يكون اختلافهم قول بعضهم

كَلَّا سَيَعْلَمُونَ • أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مَهْدًا • وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا • وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا • وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا • وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا • وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا • وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا • وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا • وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَبَّاجًا • لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا • وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا • إِنَّ يَوْمَ الْفُصْلِ كَانَ مِيقَاتًا • يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا • وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا • وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا • إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا • لِلطَّاغِينَ مَأْبَأًا • لِّلْبَشِيِّينَ فِيهَا أَهْقَابًا • لَا يَذُقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا • إِلَّا هَمِيمًا وَغَسَّاقًا • جَزَاءَ

سحر وقول بعضهم شعر وكهانة وغير ذلك وإن كان الضمير لجميع الناس فاختلافهم أن منهم المؤمن والكافر (كلا سيعلمون) ردع وتهديد ثم كرره للتأكيد (ألم نجعل الأرض مهذا) أى فراشا، وإنما ذكر الله تعالى هنا هذه المخلوقات على جهة التوقيف ليقوم الحجة على الكفار فيما أنكروه من البعث كأنه يقول إن الإله الذى قددر على خلق هذه المخلوقات العظام قادر على إحياء الناس بعد موتهم، ويحتمل أنه ذكرها حجة على التوحيد لأن الذى خلق هذه المخلوقات هو الإله وحده لا شريك له (والجبال أوتاد) شبهها بالآوتاد لأنها تملك الأرض أن تميد (وخلقناكم أزواجا) أى من زوجين ذكر وأنثى، وقيل معناه أنواعا فى ألوانكم وصوركم وألوانكم (وجعلنا نومكم سباتا) أى راحة لكم، وقيل معناه قطعاً للأعمال والتصرف والسبت القطع وقيل معناه موتا لأن النوم هو الموت الأصغر ومنه قوله تعالى «الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت منامها» (وجعلنا الليل لباسا) شبهه بالثياب التى تلبس لأنه ستر عن العيون (وجعلنا النهار معاشا) أى تطلب فيه المعيشة، فهو على حذف مضاف تقديره ذا معاش، وقال الزمخشري معناه يعاش فيه فجعله بمعنى الحياة فى مقابلة السبات الذى بمعنى الموت (وبنينا فوقكم سبعا شدادا) يعنى السموات (وجعلنا سراجا وهاجا) يعنى الشمس والوهاب الوقاد الشديد الإضاءة، وقيل الحار الذى يضطرم من شدة لهبه (وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا) يعنى المطر والمعصرات هى السحاب وهو مأخوذ من العصر لأن السحاب ينعصر فينزل منه الماء، أو من العصرة، بمعنى الإغاثة ومنه وفيه يعصرون، وقيل هى السموات وقيل الرياح والشجاج السريع الاندفاع (لنخرج به حبا ونباتا) الحب هو القمح والشعير وسائر الحبوب والنبات هو العشب (وجنات ألفافا) أى ملتفة وهو جمع لف بضم اللام، وقيل بالكسر وقيل لا واحد له (كان ميقاتا) أى فى وقت معلوم (يوم ينفخ فى الصور) يعنى نفخة القيام من القبور (فتأتون أفواجا) أى جماعات (فكانت أبوابا) أى تنفتح فتكون فيها شقاق كالأبواب (وسيرت الجبال) أى حملت (فكانت سرابا) عبارة عن تلاشيها وفنائها والسراب فى اللغة ما يظهر على البعد أنه ماء، وليس ذلك المراد هنا وإنما هو تشبيهه فى أنه لا شئ (مرصادا) أى موضع المارصد والرصد هو الارتقاب والانتظار، أى تنتظر الكفار ليدخلوها وقيل معناه طريقا للمؤمنين يمرون عليه إلى الجنة لأن الصراط منصوب على جهنم (مأبا) أى مرجعا (لابئين فيها أحقابا) جمع حقبة أو حقب وهى المدة الطويلة من الدهر غير محدودة، وقيل إنها محدودة ثم اختلف فى مقدارها، فروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنها ثمانون ألف سنة، وقال ابن عباس ثلاثون سنة وقيل ثلثمائة سنة، وعلى القول بالتحديد فالمعنى أنهم يبقون فيها أحقابا كلما انقضى حقب جاء آخر إلى

وَفَاقًا * إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كَذَابًا وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا * فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا * إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا * حَدَاقًا وَاعْتِبَابًا * وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا * وَكَأَسَاءَ دِهَاقًا * لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا * جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا * رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا * يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا * ذَلِكَ الْيَوْمُ الْخَلْقُ فَمَنْ شَاءَ اخْذِلْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَبَابًا * إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا *

غير نهاية وقيل إنه كان يقتضى أن مدة العذاب تنقضى ، ثم نسخ بقوله « فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا » وهذا خطاب لأن الأخبار لا تنسخ ، وقيل هي في عصاة المؤمنين الذى يخرجون من النار ، وهذا خطأ لأنها في الكفار لقوله وكذبوا بآياتنا وقيل معناها أنهم يقولون أحيانا لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا ثم يبدل لهم نوع آخر من العذاب (لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا) أى لا يذوقون برودة تخفف عنهم حر النار وقيل لا يذوقون ماء بارداً وقيل البرد هنا النوم والاول أظهر (الإحيماء وغساقا) استثناء من الشراب وهو متصل والحميم الماء الحار والغساق صديد أهل النار وقد ذكر في سورة داود (جزاء وفاقا) أى موافقا أعمالهم لأن أعمالهم كفر وجزاءهم النار ، ووافقا مصدر وصف به أو هو على حذف مضاف تقديره ذو وفاق (لأنهم كانوا لا يرجون حسابا) هذا مثل لا يرجون لقاءنا وقد ذكر (كذابا) بالتشديد مصدر بمعنى تكذيب وبالتخفيف بمعنى الكذب أو المكاذبة وهى تكذيب بعضهم لبعض (فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم منزل فى أهل النار أشد من هذه الآية (مفازا) أى موضع فوز يعنى الجنة (حدائق) أى بساتين (وكواعب) جمع كاعب وهى الجارية التى خرج نديها (أترابا) أى على سن واحد (وكأساء دهاقا) أى ملأى وقيل صافية والاول أشهر (عطاء حسابا) أى كفاية من أحسب الشيء إذا كفاه ، وقيل معناه على حسب أعمالهم (رب السموات) بالرفع مبتدأ أو خبر ابتداء مضمر وبالحذف صفة لربك ، والرحمن بالحذف صفة وبالرفع خبر المبتدأ أو خبر ابتداء مضمر (لا يملكون منه خطابا) قال ابن عطية الضمير للكفار أى لا يملكون أن يخاطبوه بمقدرة ولا غيرها وقيل المعنى لا يقدر أن يخاطبهم كقوله ولا يكلمهم الله وقال الزمخشري الضمير لجميع الخلق أى ليس بأيديهم شئ من خطاب الله (يوم يقوم الروح) قيل هو جبريل وقيل ملك عظيم يكون هو وحده صفا والملائكة صفا ، وقيل يعنى أرواح بنى آدم فهو اسم جنس ويوم يتعلق بلا يملكون أو لا يتكلمون (لا يتكلمون) الضمير للملائكة والروح أى تمنعهم الهيبة من الكلام إلا من بعد أن يأذن الله لهم وقول الصواب يكون فى ذلك الموطن على هذا وقيل الضمير للناس خاصة والصواب المشار إليه قول لا إله إلا الله أى من قالها فى الدنيا (ذلك اليوم الحق) أى الحق وجوده ووقوعه (فمن شاء) تخصيص وترغيب (عذابا قريبا) يعنى عذاب الآخرة ووصفه بالقرب لأن كل آت قريب أولان الدنيا على آخرها (يوم ينظر المرء ما قدمت يداه) المرء هنا عموم فى المؤمن والكافر ، وقيل هو المؤمن وقيل هو الكافر والعموم أحسن لأن كل أحدى ما عمل لقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة الباطل (ويقول

سورة النازعات : مكية وآياتها ٤٦ نزلت بعد النبأ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ وَالنَّازِعَاتِ غَرْاقًا ۝ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ۝ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ۝ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ۝
فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ۝ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۝ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ ۝ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ۝ يَقُولُونَ

الكافر يا ليتني كنت ترابا) تمنى أن يكون يوم القيامة ترابا فلا يحاسب ولا يجازى، وقيل تمنى أن يكون في الدنيا ترابا أى لم يخلق، وروى أن اليهائم تحشر ليقص لبعضهم من بعض ثم ترد ترابا فيتمنى الكافر أن يكون ترابا مثلها، وهذا يقوى الأول، وقيل الكافر هنا إبليس يتمنى أن يكون خلق من تراب مثل آدم وذريته لما رأى نوابهم وقد كان احتقر التراب في قوله خلقتني من نار وخلقته من طين

سورة النازعات

اختلف في معنى النازعات والناشطات والسابحات والمدبرات، فقيل إنها الملائكة وقيل النجوم، فعلى القول بأنها الملائكة سماهم نازعات لأنهم ينزعون نفوس بني آدم من أجسادها وناشطات لأنهم ينشطونها أى يخرجونها فهو من قولك نشطت الدلو من البئر إذا أخرجتها وسابحات لأنهم يسبحون في سيرهم أى يسرعون فيسبقون فيدبرون أمور العباد والرياح والمطر وغير ذلك حسبما يأمرهم الله وعلى القول بأنها النجوم سماها نازعات لأنها تنزع من المشرق إلى المغرب وناشطات لأنها تنشط من برج إلى برج وسابحات لأنها تسبح في الفلك ومنه كل في فلك يسبحون فتسبق في جريها فتدبر أمار من علم الحساب، وقال ابن عطية لأعلم خلافا أن المدبرات أماراً الملائكة وحكى الزمخشري فيها ما ذكرنا وقد قيل في النازعات والناشطات أنها النفوس تنزع من معنى النزاع بالموت فتنشط من الأجساد، وقيل في السابحات والسابحات أنها الخيل وأنها السفن (غرقا) إن قلنا النازعات الملائكة ففي معنى غرقا وجهان : أحدهما أنها من الغرق أى تفرق الكفار في جهنم والآخر أنه من الإغراق فى الأمر بمعنى المبالغة فيه أى تبالغ في نزاعها فتقطع الفلك كله، وإن قلنا إنها النفوس فهو أيضا من الإغراق أى تغرق في الخروج من الجسد والإعراب غرقا مصدر في موضع الحال، ونشطا وسبحا وسبقا مصادر، وأمرامفعول به، وجواب القسم محذوف وهو بعث الموتى بدلالة ما بعده عليه من ذكر القيامة، وقيل الجواب يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة على تقدير حذف لام التأكيد، وقيل هو «إن في ذلك لعبرة لمن يخشى» وهذا بعيد لبعده عن القسم ولأنه إشارة إلى قصة فرعون لا معنى القسم (يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة) قيل الراجفة النفخة الأولى في الصور والرادفة النفخة الثانية لأنها تتبعها ولذلك سماها رادفة من قولك ردفت الشيء إذا تبعته، وفي الحديث أن بينهما أربعين عاما، وقيل الراجفة الموت والرادفة القيامة، وقيل الراجفة الأرض، من قوله «ترجف الأرض والجبال، والرادفة السماء لأنها تنشق يومئذ والعامل في يوم ترجف محذوف وهو الجواب المقدر تقديره لتبعثن يوم ترجف الراجفة وإن جعلنا يوم ترجف الجواب فالعامل في يوم معنى قوله «قلوب يومئذ واجفة»، وقوله «تتبعها الرادفة» في موضع الحال ويحتمل أن يكون العامل فيه تتبعها (قلوب يومئذ واجفة) أى شديدة الاضطراب والوجيف والوجيب بمعنى واحد وارتفع قلوب بالابتداء وواجه خبره، وقال الزمخشري : واجفة صفة والخبر أبصارها خاشعة

أَنَا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ * أَذَّا كُنَّا عَظَمًا نَخْرَةً * قَالُوا تِلْكَ إِذَا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ * فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ *
فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ * هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى * إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ
طَغَىٰ * فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَىٰ أَنْ تَزَكَّىٰ * وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ * فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ * فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ *
ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ * فَخَشَرَ فَنَادَىٰ * فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ * فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ * إِنَّ فِي ذَٰلِكَ

(أبصارها خاشعة) كناية عن الذل والخوف وإضافت الأبصار إلى القلوب على تجوز والتقدير قلوب أصحابها
(يقولون أننا لمردودون في الحافرة أذا كنا عظاما نخرة) هذا حكاية قول الكفار في الدنيا ، ومعناه على
الجملة إنكار البعث فالهمزة في قوله «أنا لمردودون» للإنكار ولذلك اتفق العلماء على قراءته بالهمزتين إلا أن
منهم من سهل الثانية ومنهم من خففها واختلفوا في إذا كنا عظاما نخرة فهم من قرأه بهمزة واحدة لأنه ليس
بموضع استفهام ولا إنكار ومنهم من قرأه بهمزتين تأكيذا للإنكار المتقدم ثم اختلفوا في معنى الحافرة على
ثلاثة أقوال : أحدها أنها الجمالة الأولى يقال رجع فلان في حافره إذا رجع إلى حالته الأولى فالعنى أننا لمردودون
إلى الحياة بعد الموت والآخر أن الحافرة الأرض بمعنى محفورة فالعنى أننا لمردودون إلى وجه الأرض بعد الدفن في
القبور والثالث أن الحافرة النار والعظام النخرة البالية المتعفنة وقرئ ناخرة بألف وبجذف الألف وهما بمعنى
واحد إلا أن حذف الألف أبغ لأن فعل أبلغ من فاعل وقيل معناه العظام المجوفة التي تمر بها الريح فيسمع
لها نخير والعامل في إذا كنا محذوف تقديره إذا كنا عظاما نبعث ويحتمل أن يكون العامل فيه مردودون
في الحافرة ولكن إنما يجوز ذلك على قراءة إذا كنا بهمزة واحدة على الخبر ولا يجوز على قراءته بهمزتين
لأن همزة الاستفهام لا يعمل ما قبلها فيما بعدها (قالوا تلك إذا كرة خاسرة) الكرة الرجعة والخاسرة منسوبة
إلى الخسران كقوله عيشة راضية أى ذات رضى أو معناه خاسر أصحابها ومعنى هذا الكلام أنهم قالوا إن
كان البعث حقا فكرتنا خاسرة لأننا ندخل النار (فإنما هي زجرة واحدة) يعنى النفخة في الصور للقيام من
القبور وهذا من كلام الله تعالى ردا على الذين أنكروا البعث كأنه يقول لا تظنوا أنه صعب على الله هو عليه
يسير فإنما ينفخ نفخة واحدة في الصور فيقوم الناس من قبورهم (فإذا هم بالساهرة) إذا هنا فجائية والساهرة
وجه الأرض والباء ظرفية والمعنى إذا نفخ في الصور حصلوا بالأرض أسرع شئ (هل أتاك) توقيف وتنبيه
وليس المراد به مجرد الاستفهام (طوى) ذكر في طه (أذهب إلى فرعون) تفسير للنداء (هل لك إلى أن تزكى) أن
تتطهر من الكفر والذنوب والعيوب والرزائل وقال بعضهم تزكى تسلم وقيل تقول لا إله إلا الله والأول أعم
(الآية الكبرى) قلب العصا حية وإخراج اليد بيضاء وجعلهما واحدة لأن الثانية تتبع الأولى ويحتمل
أن يريد الأولى وحدها (ثم أدبر يسعى) الإدبار كناية عن الإعراض عن الإيمان ويسعى عبارة عن جده
في الكفر وفي إبطال أمر موسى عليه السلام وقيل هو حقيقة أى قام من مجلسه يفر من مجالسة موسى أو يهرب
من العصا لما صارت ثعبانا (فخسر) أى جمع جنوده وأهل مملكته (فنادى) أى نادى قومه وقال لهم ما قال
ويحتمل أنه ناداهم بنفسه أو أمر من يناديهم والأول أظهر وروى أنه قام فيهم خطيبا فقال ما قال (فأخذه
الله نكال الآخرة والأولى) النكال مصدر بمعنى التنكيل والعامل فيه أخذه الله لأنه بمعناه وقيل العامل

لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى ۚ ؕ أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا ۚ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا ۚ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ۚ
وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ۚ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ۚ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ۚ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَمَ عَلَيْكُمْ ۚ فَإِذَا
جَاءَتِ الطَّلَامَةُ الْكُبْرَى ۚ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ۚ وَبَرَزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى ۚ فَأَمَّا مَن طَغَى ۚ
وَأَثَرَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ۚ وَأَمَّا مَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ۚ فَإِنَّ
الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ۚ يَسْتَوْنَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ۚ فِيمَ أَنْتَ مِّنْ ذِكْرَاهَا ۚ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا ۚ إِنَّمَا
أَنْتَ مُنذِرٌ مَّن يَخْشَاهَا ۚ كَانَهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ۚ

محذوف والآخرة هي دار الآخرة والاولى الدنيا فالمعنى نكال الآخرة بالنار ونكال الاولى بالغرق وقيل
الآخرة قوله أنا ربكم الاعلى والاولى قوله ما علمت لكم من إله غيري وقيل بالعكس فالمعنى أخذه الله
وعاقبه على كلفة الآخرة وكلفة الاولى (أأنتم أشد خلقا أم السماء) هذا توقيف قصده الاستدلال على البعث
فإن الذى خلق السماء قادر على خلق الأجساد بعد فنائها (رفع سمكها) السمك غلط السماء وهو الارتفاع
الذى بين سطح السماء الأسفل الذى يلينا وسطحها الأعلى الذى يلى ما فوقها ومعنى رفعه أنه جعله مسيرة
خمسائة عام وقيل السمك السقف (فسواها) أى أتقن خلقتها وقيل جعلها مستوية ليس فيها مرتفع ولا منخفض
(وأغطش ليلها) أى جعله مظلمًا يقال غطش الليل إذا أظلم وأغطشه الله (وأخرج ضحاها) أى أظهر
ضوء الشمس في وقت الضحى وأضاف الضحى والليل إلى السماء من حيث أهمها ظاهرا منها وفيها (والأرض
بعد ذلك دحاها) أى بسطها واستدل بها من قال إن الأرض بسيطة غير كروية وقد ذكرنا في فصلت الجمع بين هذا وبين
قوله ثم استوى إلى السماء (أخرج منها ماءها) ومرعاها نسب الماء والمرعى إلى الأرض لأنهما يخرجان منها
فإن قيل لما قال أخرج بغير حرف العطف ؟ فالجواب أن هذه الجملة في موضع الحال وتفسير لما قبلها قاله
الزمخشري (والجبال أرساها) أى أثبتها ونصب الجبال بفعل مضمر يدل عليه الظاهر وكذلك الأرض (متاعا لكم)
تقديره فعل ذلك كله تمهيدا لكم منه (ولأنعامكم) لأن بنى آدم والأنعام ينتفعون بما ذكر (الطامة) هي القيامة وقيل
النفخة الثانية واشتقاقها من قولك لهم الأمر إذا علا وغلب (وبرزت الجحيم لمن يرى) أى أظهرت لكل من يرى فهي
لا تخفى على أحد (مقام ربه) ذكر في سورة الرحمن (ونهى النفس عن الهوى) أى ردها عن شهواتها وأغراضها
الفاسدة قال بعض الحكماء إذا أردت الصواب فانظر هواك وخالفه وقال سهل التستري لا يسلم من الهوى إلا
الأنبياء وبعض الصديقين (أيان مرساها) ذكر في الأعراف (فيم أنت من ذكراها) أى من ذكر زمانها فالمعنى
لست في شيء من ذكر ذلك قالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل عن الساعة
كثيراً فلما نزلت هذه الآية انتهى (إلى ربك منتهاها) أى منتهى علمها لا يعلم متى تكون إلا هو وحده (إنما
أنت منذر لمن يغشاها) أى إنما بعثت لتنذر بها وليس عليك الإخبار بوقتها وخص الإنذار بمن يغشاها لأنه هو
الذى ينفعه الإنذار (لم يلبسوا إلا عشيّة أو ضحاها) أخبر أنهم إذا رأوا الساعة ظنوا أنهم لم يلبسوا في الدنيا أو في القبور
إلا عشيّة يوم أو ضحى يوم وأضاف الضحى كذلك إلى العشيّة لما بينهما من الملازمة إذ هما في يوم واحد

سورة عبس : مكية وآياتها ٤٢ نزلت بعد النجم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ عَبَسَ وَتَوَلَّى ۝ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ۝ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهِ يَزْكَى ۝ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ
الذِّكْرَى ۝ أَمَّا مَنْ أَسْتَغْنَى ۝ فَآتَتْ لَهُ تَصَدَّى ۝ وَمَا عَلَيْكَ إِلَّا يَزْكَى ۝ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ۝ وَهُوَ يَخْشَى ۝
فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ۝ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ۝ فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ ۝ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ ۝ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۝

سورة عبس

سبب نزول هذه السورة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان حريصا على إسلام قريش وكان يدعو أشrafهم إلى الله تعالى ليسلموا فيسلم بإسلامهم غيرهم فيبيناهو مع رجل من عظمائهم قيل هو الوليد بن المغيرة وقيل عتبة بن ربيعة وقيل أمية بن خلف ، وقال ابن عباس كانوا جماعة إذ أقبل عبد الله بن أم مكتوم الأعشى فقال يا رسول الله علمني مما علمك الله ، وكرر ذلك وهو لا يعلم عنه بتشاغله بالقوم فذكره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قطع الأعشى كلامه فعبس وأعرض عنه وذهب الرجل الذي كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأى عبد الله بن أم مكتوم بعد ذلك يقول مرحبا بمن عاتبنى فيه ربي وييسر له رداءه وقد استخلفه على المدينة مرتين (عبس وتولى) أى عبس في وجه الأعشى وأعرض عنه قال ابن عطية في مخاطبته بلفظ الغائب مبالغة في العتب لأن في ذلك بعض الإعراض وقال الزمخشري في الإخبار بالغيبة زيادة في الإنكار ، وقال غيرهما هو إكرام للنبي صلى الله عليه وسلم وتنزيه له عن المخاطبة بالعتاب وهذا أحسن (أن جاءه الأعشى) في موضع مفعول من أجله وهو منصوب بتولى أو عبس وذكر ابن أم مكتوم بلفظ الأعشى ليدل أن عماء هو الذي أوجب احتقاره وفي هذا دليل على أن ذكر هذه العاهات جائز إذا كانت لمنفعة أو يشهد صاحبها ومنه قول المحدثين سليمان الأعمش وعبد الرحمن الأعرج وغير ذلك (وما يدريك) أى أى شيء يطلعك على حال هذا الأعشى (لعله يزكى) أى يتطهر وينتفع في دينه بما يسمع منك ، (أما من استغنى فأنت له تصدى) أى تتعرض للغنى رجاء أن يسلم (وما عليك ألا يزكى) أى لا حرج عليك أن لا يزكى هذا الغنى (وأما من جاءك يسعى) إشارة إلى عبد الله بن أم مكتوم ، ومعنى يسعى يسرع في مشيه من حرصه في طلب الخير (وهو يخشى) أى يخشى الله أو يخاف الكفار وإذايتهم له على اتباعك وقيل جاء وليس معه من يقوده ، فكان يخشى أن يقع وهذا ضعيف (فأنت عنه تلهى) أى تشتغل عنه بغيره من قولك لهيت عن الشيء إذا تركته ، وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تأدب بما أدبه الله في هذه السورة فلم يعرض بعدها عن فقير ولا تعرض لغنى ، وكذلك اتبعه فضلاء العلماء ، فكان الفقراء في مجلس سفیان الثوري كالأمراء وكان الأغنياء يتمنون أن يكونوا فقراء (كلا) ردع عن معاودة ما وقع العتاب فيه (إنها تذكرة) فيه وجهان ، أحدهما : أن هذا الكلام المتقدم تذكرة أو موعظة للنبي صلى الله عليه وسلم والآخر أن القرآن تذكرة لجميع الناس فلا ينبغي أن يؤثر فيه أحد على أحد ، وهذا أرجح لأنه يناسبه : فمن شاه ذكره ، وما بعده ، وأنت الضمير في قوله إنها تذكرة على معنى القصة أو الموعظة أو السورة أو القراءة

كِرَامِ بَرَّةٍ ۖ قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ۖ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۖ مِنْ نُطْقَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ۖ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرُهُ ۖ
ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ۖ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ۖ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ۖ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ۖ أَنَا صَبَبْنَا
الْمَاءَ صَبًّا ۖ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ۖ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۖ وَعَبَّأْنَا قُضْبًا ۖ وَزَيَّنَّاهَا أَنْجَلًا ۖ وَحَدَّاثًا عُجْبًا ۖ
وَفَلَكِهَةً وَأَبًا ۖ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنعَمِكُمْ ۖ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَةُ ۖ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۖ وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ ۖ

وذكرها في قوله فمن شاء ذكره على معنى الوعظ أو الذكرى والقرآن (في صحف) صفة لتذكروا أى ثابتة
في صحف وهى الصحف المنسوخة من اللوح المحفوظ وقيل هى مصاحف المسلمين (مرفوعة) إن كانت الصحف
المصاحف فمعناه مرفوعة المقدار وإن كانت صحف الملائكة فمعناه كذلك أو مرفوعة فى السماء ومطهرة أى منزهة
عن أيدي الشياطين (بأيدي سفرة) هى الملائكة ، والسفرة جمع سافر وهو الكاتب ؛ لأنهم يكتبون القرآن
وقيل لأنهم سفراء بين الله وبين عباده ، وقيل يعنى القراء من الناس والاول أرجح وقد قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة أى أنه يعمل مثل عملهم فى كتابة القرآن
وتلاوته أوله من الأجر على القرآن مثل أجورهم (قتل الإنسان) دعاء عليه على ما جرت به عادة
العرب من الدعاء بهذا اللفظ ، ومعناه تقييح حاله وأنه من يستحق أن يقال له ذلك ، وقيل معناه لعن وهذا
بعيد (ما أكفره) تعجب من شدة كفره مع أنه كان يجب عليه خلاف ذلك (من أى شيء خلقه) توقيف
وتقرير ثم أجاب عنه بقوله (من نطقه خلقه) يعنى المنى ومقصد الكلام تحقير الإنسان ومعناه أنه يجب عليه
أن يعظم الرب الذى خلقه (فقدره) أى هياه لما يصلح له ومنه خلق كل شيء فقدرة تقديرا ، وقيل معناه
جعل له على مقدار معلوم فى إعطائه وأجله ورزقه وغير ذلك (ثم السبيل يسره) نصب السبيل بفعل مضمر فسر
يسره ، وفى معناه ثلاثة أقوال أحدها : يسر سبيل خروجه من بطن أمه والآخر أنه سبيل الخير والشر لقوله إنا
هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا ، الثالث سبيل النظر السديد المؤدى إلى الإيمان ، والاول أرجح
لعطفه على قوله من نطقه خلقه فقدره وهو قول ابن عباس (ثم أماته فأقبره) أى جعله ذا قبر يقال قبر
الميت إذا دفنته وأقبرته إذا أمرت أن يدفن (ثم إذا شاء أنشره) أى بعثه من قبره يقال نشر الميت إذا قام
وأنشره الله والإشارة بإذا شاء ليوم القيامة ، أى الوقت الذى يقدر أن ينشره فيه (كلا) ردع للإنسان عما هو
فيه (لما يقضى ما أمره) أى لم يقض الإنسان على تطاول عمره ما أمره الله ، قال بعضهم لا يقضى أحد أبدا
جميع ما اقترض الله عليه إذ لا بد للعبد من تفريط (فلينظر الإنسان إلى طعامه) أمر بالاعتبار فى الطعام كيف
خلقه الله بقدرته ويسره برحمته فيجب على العبد طاعته وشكره ويقبح معصيته والكفر به ، وقيل فلينظر
إلى طعامه إذا صار رجيعا فينظر حقارة الدنيا وخساسة نفسه ، والاول أشهر وأظهر فى معنى الآية على أن
القول الثانى صحيح وانظر كيف فسر به بقوله أنا صببنا الماء صبا وما بعده ليعتد النعم ويظهر القدرة وقرئ
إنا صببنا الماء بفتح الهمزة على البدل من الطعام (ثم شققنا الأرض) يعنى يخرج النبات منها (حبا) يعنى القمح
والشعير وسائر الحبوب (وقضيا) قيل هى الفصفصة ، وقيل هى علف البهائم واختار ابن عطية أنها البقول
وشبهها بما يؤكل رطبا (غلبا) أى غليظة ناعمة (وأبا) الأب المرعى عند ابن عباس والجمهور ، وقيل التبن وقد توقف

وَصَاحِبَتَهُ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ أُمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ * وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ * وَوُجُوهٌ
يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ * تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ * أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ ،

سورة التكوير: مكية وآياتها ٢٩ نزلت بعد المسد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ . وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ * وَإِذَا
الْعِشَارُ عُطِّلَتْ . وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ . وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ . وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ * وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ

في تفسيره أبو بكر وعمر رضى الله عنهما (الصاخة) القيامة وهى مشتقة من قولك صخ الأذن إذا أصمها
بشدة صياحه فكأنه إشارة إلى النفخة في الصور أو إلى شدة الأمر حتى يصخ من يسمعه لصعوبته وقيل هى من
قولك أصاخ للحديث إذا استمعه والاول هو الموافق للاشتقاق (يفر المرء من أخيه) الآية ذكر فرار
الإنسان من أحبابه ورتبهم على ترتيبهم فى الخنو والشفقة فبدأ بالآقل وختم بالأكثر لأن الإنسان أشد
شفقة على بنيه من كل من تقدم ذكره وإنما يفر منهم لاشتغاله بنفسه ؛ وقيل إن فراره منهم لثلا يطالبوه
بالتبعات والاول أرجح وأظهر ، لقوله « لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه » أى هو مشغول بشأنه من الحساب
والثواب والعقاب ، حتى لا يسعه ذكر غيره ، وانظر قول الأنبياء عليهم السلام ، يومئذ نفسى نفسى (وجوه
يومئذ مسفرة) أى مضيئة من السرور ، وهو من قولك أسفر الصبح إذا أضاء (عليها غبرة) أى غبار والغبرة هى
أيضا الغبار قال ابن عطية : الغبرة من العبوس والكرب كما يقتر وجه المهموم والمريض ، والغبرة هى
غبار الأرض ، وقال الزمخشري الغبرة غبار يعلوها والغبرة سواد فيعظم قبورها واجتماع الغبار والسواد

سورة التكوير

ذكر الله فى هذه السورة أهوال القيامة ، وما يعترى الموجودات حينئذ من التغيير (إذا الشمس كورت) قال
ابن عباس : ذهب ضوءها وأظلمت وقيل رمى بها وقيل اضمحلت وأصله من تكوير العمامة لأنها إذا لفت زال انبساطها
وصغر جرمها (وإذا النجوم انكدرت) أى تساقطت من مواضعها ، وقيل تغيرت والاول أرجح لأنه موافق
لقوله « وإذا الكواكب انتثرت » وروى أن الشمس والنجوم تطرح فى جهنم ليراهن من عبدها ، كما قال « إنكم
وما تعبدون من دون الله حصب جهنم » (وإذا الجبال سيرت) أى حملت وبعد ذلك تفتت فتصير هباء ثم تتلاشى
(وإذا العشار عطلت) العشار جمع عشار وهى الناقة الحامل التى مر حملها عشرة أشهر وهى أنف من عند العرب
وأعزها فلا تعطل إلا من شدة الهول ، وتعطيلها هو تركها سائبة أى ترك حلبها (وإذا الوحوش حشرت)
أى جمعت وفى صفة حشرها ثلاثة أقوال : أحدها أنها تحشر أى تبعث يوم القيامة ليقص لبعضها
من بعض ثم تكون ترابا والآخر أنها تحشر بموتها دفعة واحدة عند هول القيامة قاله ابن عباس وقال إنها
لا تبعث وأنه لا يحضر القيامة إلا الإنس والجن والثالث أنها تجمع فى أول أهوال القيامة وتفر فى الأرض
فذلك حشرها (وإذا البحار سجرت) فيه ثلاثة أقوال أحدها ملئت وفجر بعضها إلى بعض حتى تعود بحرا واحداً
والآخر ملئت نيرانا لتعذيب أهل النار والثالث فرغت من مائها وبست وأصله من سجرت الثور إذا، لأنها

سُئِلَتْ * بَأَى ذَنْبٍ قُتِلَتْ * وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ * وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ * وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ * وَإِذَا
الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ * عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ * فَلَا أَقْسَمُ بِالْخُنُوسِ * الْجَوَارِ الْكُنُوسِ * وَاللَّيْلُ إِذَا عَسْعَسَ *
وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ * إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ * وَمَا

فالقول الأول والثاني أليق بالأصل . والأول والثالث موافق لقوله فجرت (وإذا النفوس زوجت) فيه ثلاثة أقوال
أحدها أن التزويج بمعنى التوزيع لأن الأزواج هي الأنواع فالمعنى جعل الكافر مع الكافر والمؤمن مع المؤمن
والثاني زوجت نفرس المؤمنين بزوجاتهم من الحور العين والثالث زوجت الأرواح والأجساد أى ردت
إليها عند البعث والأول هو الأرجح ، لأنه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن عمر بن الخطاب وابن
عباس (وإذا الموءدة سئلت بأى ذنب قتلت) الموءدة هي البنت التى كان بعض العرب يدفنها حية من
كراهته لها ومن غيرته عليها فتسأل يوم القيامة بأى ذنب قتلت على وجه التوبيخ لقاتلها وقرأ ابن عباس
« وإذا الموءدة سئلت بأى ذنب قتلت ، بضم القاف وسكون اللام وضم التاء واستدل ابن عباس بهذه الآية
على أن أولاد المشركين فى الجنة لأن الله ينتصر لهم بمن ظلمهم (وإذا الصحف نشرت) هى صحف الأعمال
تنشر ليقرأ كل أحد كتابه ، وقيل هى الصحف التى تتطاير بالآيمان والشمال بالجزاء (وإذا السماء كُشِطَتْ)
الكشط هو التقشير كما يكشط جلد الشاة حين تسليخ وكشط السماء هو طيها كطى السجل قاله ابن عطية وقيل
معناه كُشِفَتْ وهذا أليق بالكشط (وإذا الجحيم سعرت) أى أوقدت وأحيت (وإذا الجنة أزلفت) أى قربت
(علمت نفس ما أحضرت) هذا جواب إذا المكررة فى المواضع قبل هذا ومعناه علمت كل نفس ما أحضرت
من عمل فلفظ النفس مفرد يراد به الجنس والعموم وقال ابن عطية إنما أفردتها ليبين حقارتها وذلتها وقال
الزمخشري هذا من عكس كلامهم الذى يقصد به الإفراط فيما يعكس عنه كقوله ربما يود الذين كفروا ،
ومعناه التكثير وكذلك هنا معناه أعم الجموع « ما أحضرت » عبارة عن الحسنات والسيئات (فلا أقسم) ذكرت نظائره
(بالخنس الجوار الكنس) يعنى الدرارى السبعة وهى الشمس والقمر وزحل وعطارد والمريخ والمشتري والزهرة
وذلك أن هذه الكواكب تخنس فى جريها أى تنهقر فيكون النجم فى البرج ثم يكثر راجعاً وهى جوارى فى الفلك
وهى تنكس فى أبراجها أى تستتر وهو مشتق من قولك كنس الوحش إذا دخل كناسه وهو موضعه وقيل يعنى
الدرارى الخمسة لأنها تستتر بضوء الشمس وقيل يعنى النجوم كلها لأنها تخنس فى جريها وتنكس بالنهار
أى تستتر وتختفى بضوء الشمس وقيل يعنى بقر الوحش فالخنس على هذا من خنس الأنف والكنس من
سكنائها فى كناسها (والليل إذا عسعس) يقال عسعس الليل إذا كان غير مستحكم الظلام فليل ذلك فى أوله وقيل
فى آخره وهذا أرجح لأن آخر الليل أفضل ولأنه أعقبه بقوله (والصبح إذا تنفس) أى استطار واتسع ضوؤه
(إنه لقول رسول كريم) الضمير للقرآن والرسول الكريم جبريل وقيل محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال
السهبلى لا يجوز أن يقال إنه محمد عليه السلام لأن الآية نزلت فى الرد على الذين قالوا إن محمداً قال القرآن
فكيف يخبر الله أنه قوله وإنما أراد جبريل وأضاف القرآن إليه لأنه جاء به وهو فى الحقيقة قول الله
تعالى وهذا الذى قال السهبلى لا يلزم فإنه قد يضاف إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، لأنه تلقاه عن جبريل
عليه السلام وجاء به إلى الناس ومع ذلك فالأظهر أنه جبريل لأنه وصفه بقوله ذى قوة وقد وصف جبريل

صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ * وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ * وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ *
فَإِنَّ تَذْهَبُونَ * إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ * لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ
اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ *

سورة الانفطار : مكية وآياتها ١٩ نزلت بعد النازعات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ * وَإِذَا الْكَوَاكِبُ أُنْثَرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ * وَإِذَا
الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ * عَلِمْتَ نَفْسٌ مَقْدَمَتْ وَأَخَّرَتْ * يَسْأَلُهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ

بهذا لقوله شديد القوى ذومرة (عند ذى العرش) يتعلق بذى قوة ، وقيل بمكين وهذا أظهر والمكين الذى له مكانة أى جاه وتقريب (مطاع ثم أمين) هذا الظرف إشارة إلى الظرف المذكور قبله وهو عند ذى العرش أى مطاع فى ملائكة ذى العرش (وما صاحبكم بمجنون) هو محمد صلى الله عليه وسلم باتفاق (ولقد رآه بالأفق المبين) ضمير الفاعل لمحمد صلى الله عليه وسلم وضمير المفعول لجبريل عليه السلام وهذه الرؤية له بغار حراء على كرسى بين السماء والأرض . وقيل الرؤية التى رآه عند سدره المنتهى فى الإسراء ووصف هذا الأفق بالمبين لأنه روى أنه كان فى المشرق من حيث تطلع الشمس وأيضاً فى كل أفق فهو مبين (وما هو على الغيب بضنين) الضمير للنبى صلى الله عليه وسلم ومن قرأ بالضاد فعنائه بخيل أى لا ييخل بأداء ما ألقى إليه من الغيب ، وهو الوحي ، ومن قرأ بالطاء فعنائه متهم أى لا يتهم على الوحي بل هو أمين عليه ورجح بعضهم هذه القراءة بأن الكفار لم ينسبوا محمداً صلى الله عليه وسلم إلى البخل بالوحي بل اتهموه فبنى عنه ذلك (وما هو بقول شيطان رجيم) الضمير للقرآن (فأين تذهبون) خطاب لكفار قريش أى ليس لكم زوال عن هذه الحقائق وقد تقدم تفسير بقية السورة فى نظائره فيما تقدم

سورة الانفطار

(إذا السماء انفطرت) أى انشقت (وإذا الكواكب انثرت) أى سقطت من مواضعها (وإذا البحار فجرت) أى فرغت وقيل فجر بعضها إلى بعض فاختلط (وإذا القبور بعثرت) أى نبشت على الموتى الذين فيها وقال الزمخشري أصله من البعث والبحث فضمت إليها الراء والمعنى بحثت وأخرج موتاها (علمت نفس ما قدمت وأخرت) هذا هو الجواب ومعناه علمت كل نفس جميع أعمالها وقيل ما قدمت فى حياتها وما أخرت بما تركته بعد موتها من سنة سيئها أو وصية أوصت بها وأفردت النفس والمراد به العموم حسبنا ذكرنا فى التكمير (يا أيها الإنسان) خطاب لجنس بنى آدم (ما غرك ربك الكريم) هذا توبيخ وعتاب معناه أى شىء غرك ربك حتى كفرت به أو عصيته أو غفلت عنه فدخل فى العتاب الكفار وعصاة المؤمنين ومن يغفل عن الله فى بعض الأحيان من الصالحين وروى أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم قرأ ما غرك ربك الكريم فقال غره جهله وقال عمر غره جهله وحقه وقرأ لأنه كان ظلوماً جهولاً ، وقيل غره الشيطان المساطل عليه وقيل غره ستر الله عليه وقيل غره طمعه فى عفو الله عنه ولا تعارض بين هذه الأقوال لأن كل واحد

فَسَوِّدَكَ فَعَدَلَكَ ۖ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ۖ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ۖ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۖ كَرَامًا
كَاتِبِينَ ۖ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۖ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۖ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ۖ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ۖ وَمَا هُمْ
عَنْهَا بِغَائِبِينَ ۖ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ۖ ثُمَّ مَّا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ۖ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا
وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ۖ

سورة المطففين

مكية وآياتها ٣٦ نزلت بعد العنكبوت وهي آخر سورة نزلت بمكة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۖ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۖ الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۖ وَإِذَا كَالُوهُمْ

منها ما يغفلون إلا أن بعضها يغفر قوما وبعضها يغفر قوما آخرين فإن قيل ما مناسبة وصفه بالكريم هنا للتوبيخ على الغرور؟ فالجواب أن الكريم ينبغي أن يعبد ويطاع شكرا لإحسانه ومقابلة لكرمه ومن لم يفعل ذلك فقد كفر النعمة وأضاع الشكر الواجب (فعدلك) بالتشديد والتخفيف أى عدل أعضائه وجعلها متوازنة فلم يجعل إحدى اليدين أطول من الأخرى ولا إحدى العينين أكبر من الأخرى ولا إحداهما كحلى والأخرى زرقاء ولا بعض الأعضاء أبيض وبعضها أسود وشبه ذلك من الموازنة (فى أى صورة ما شاء ركبك) المجرور يتعلق بركبك وما زائدة والمعنى ركبك فى أى صورة شاء من الحسن والقبح والطول والقصر والذكورة والأنوثة وغير ذلك من اختلاف الصور، ويحتمل أن يتعلق المجرور بمحذوف تقديره ركبك حاصلا فى أى صورة وقيل يتعلق بعدلك على أن يكون بمعنى صرفك إلى أى صورة شاء وهذا بعيد، ولا يمكن إلا مع قراءة عدلك بالتخفيف (كلا) ردع عن الغرور المذكور قبل، والتكذيب المذكور بعد (بل تكذبون بالدين) هذا خطاب للكفار والدين هنا يحتمل أن يكون بمعنى الشريعة أو الحساب أو الجزاء (وإن عليكم لحافظين) يعنى الملائكة الذين يكتبون أعمال بنى آدم (يعلمون ما تفعلون) يعلمون الأعمال لمشاهدتهم لها، وأما ما لا يرى ولا يسمع من الخواطر والنيات والذكر بالقلب فقليل: إن الله ينفرد بعلم ذلك وقيل إن الملك يجد لها ريحا يذكرها به (إن الأبرار لفي نعيم) فى هذه الآية وفيما بعدها من أدوات البيان المطابقة والترصيع (وما هم عنها بغائبين) فيه قولان أحدهما أن معناه لا يخرجون منها إذا دخلوها والآخر لا يغيبون عنها فى البرزخ قبل دخولها لأنهم يعرضون عليها غدوا وعشيا (وما أدراك ما يوم الدين) تعظيم له وتهويل وكرره لئلا كيد والمعنى أنه من شدته بحيث لا يدرك أحد مقدار هوله وعظمته (يوم لا تملك نفس لنفس شيئا) أى لا يقدر أحد على منفعة أحد وقضى يوم بالرفع على البذل من يوم الدين أو على إضمار مبتدأ والنصب على الظرفية بإضمار فعل تقديره يجاوزون يوم الدين أو النصب على المفعولية بإضمار فعل تقديره ذكر ويجوز أن يفتح لإضافته إلى غير متمكن وهو فى موضع رفع

سورة المطففين

(ويل للمطففين) التطفيف فى اللغة هو البخس والنقص وفسره بذلك الزمخشري واختاره ابن عطية وقيل هو تجاوز الحد فى زيادة أو نقصان واختاره ابن الفرس وهو الأظهر لأن المراد به هنا بخس حقوق الناس فى

أَوْزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۚ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ۚ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۚ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۚ كَلَّا ۚ إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سَعِيرٍ ۚ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَسْجِينُ ۚ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ۚ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۚ الَّذِينَ

المكيال والميزان بأن يزيد الإنسان على حقه أو ينقص من حق غيره وسبب نزول السورة أنه كان بالمدينة رجل يقال له أبو جهينة له مكيالان يأخذ بالآوفي ويعطى بالأنقص فالسورة على هذا مدنية وقيل مكية لذكر أساطير الأولين وقيل نزل بعضها بمكة ونزل أمر التطفيف بالمدينة إذ كانوا أشد الناس فساداً في هذا المعنى فأصلحهم الله بهذه السورة (الذين إذا كتالوا على الناس يستوفون) معنى اكتبوا على الناس قبضوا منهم بالسكيل فعلى بمعنى من وإنما أبدلت منها لما تضمن الكلام من معنى التحامل عليهم ويجوز أن يتعاق على الناس يستوفون وقدم المفعول لإفادة التخصيص (وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون) معنى يخسرون ينقصون حقوق الناس وهو من الخسارة ، يقال خسر الرجل وأخسره غيره إذا جعله يخسر ، وكالوهم معناه كالوا لهم أو وزنوهم معناه وزنوا لهم ، ثم حذف حرف الجر فاتصّب المفعول لأن هذين الفعلين يتعدى كل واحد منهما تارة بنفسه وتارة بحرف الجر يقال كالتك وكلت لك ووزنتك ووزنت لك بمعنى واحد وحذف المفعول الثاني وهو المكيال والموزون والواو التي هي ضمير الفاعل للمطففين والهام الذي هي ضمير المفعول للناس فالمعنى إذا كالوا أو وزنوا لهم طعاماً أو غيره مما يكال أو يوزن يخسرونهم حقوقهم ، وقيل إنهم في كالوهم أو وزنوهم تأكيد للضمير الفاعل وروى عن حمزة أنه كان يقف على كالوا ووزنوا ثم يبتدئهم ليبين هذا المعنى وهو ضعيف من وجهين ، أحدهما : أنه لم يثبت في المصحف ألف بعد الواو في كالوا ووزنوا فدل ذلك على أن هم ضمير المفعول والآخر أن المعنى على هذا أن المطففين إذا تولوا السكيل أو الوزن نقصوا وليس ذلك بمقصود لأن الكلام واقع في الفعل لا في المباشر ، ألا ترى أن اكتبوا على الناس معناه قبضوا منهم وكالوهم ووزنوهم معناه دفعوا لهم فقابل القبض بالدفع وأما على هذا الوجه الضعيف فهو خروج عن المقصود ، قال ابن عطية ظاهر الآية أن السكيل والوزن على البائعين وليس ذلك بالجلى قال صدر الآية في المشتري فهم الذين يستوفون أو يشاحون ويطلبون الزيادة وقوله وإذا كالوهم أو وزنوهم في البائعين فهم الذين يخسرون المشتري (ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم) يعني يوم القيامة ، وهذا تهديد للمطففين وإنكار لفعلهم وكان عبد الله بن عمر إذا مر بالبائع يقول له اتق الله وأوف السكيل فإن المطففين يوقفون يوم القيامة لعظمة الرحمن (يوم يقوم الناس لرب العالمين) الظرف منصوب بقوله مبعوثون وقيل بفعل مضمر أو بدل من يوم عظيم ، وقيام الناس يوم القيامة على حسب اختلافهم فمنهم من يقوم خمسين ألف سنة وأقل من ذلك حتى أن المؤمن يقوم على قدر صلاة مكتوبة (كلا) ردع عن التطفيف أو افتتاح كلام (إن كتاب الفجار لفي سجين) كتاب الفجار هو ما يكتب من أفعالهم ، والفجار هنا يحتمل أن يريد به الكفار أو المطففين وإن كانوا مسلمين ، والأول أظهر لقوله بعدهذا ويل يومئذ للمكذبين وسجين اسم علم منقول من صفة على وزن فاعيل البالغة وقد عظم أمره بقوله وما أدراك ما سجين ثم فسره بأنه كتاب مرقوم أي مسطور بين السكتابين وهو كتاب جامع يكتب فيه أعمال الشياطين والكفار والفجار وهو مشتق من السجن بمعنى الحبس لأنه سبب الحبس والتضييق في جهنم ولأنه في مكان الهوان والعذاب كالسجن ، فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه في الأرض السفلى ، وروى

يُكَذِّبُونَ يَوْمَ الدِّينِ * وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ *
 كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ * ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ *
 ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ * كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ * كِتَابٌ
 مَرْقُومٌ * يُشْهَدُ الْمُقْرَبُونَ * إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الْأَرَآئِكِ يَنْظُرُونَ * تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ
 النَّعِيمِ * يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ * خِتَمُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ * وَمِرَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ *

عنه أنه في بئر هناك ، وحكى كعب عن التوراة أنه في شجرة سوداء هنالك ، وقال ابن عطية يحتمل أن يكون
 معنى الآية أن عدد الفجار في سجين أى كتبوا هنالك في الأزل (أساطير الأولين) قد ذكر (بل ران على
 قلوبهم ما كانوا يكسبون) أى غطى على قلوبهم ما كسبوا من الذنوب فطمس بصائرهم فصاروا لا يعرفون
 الرشدين الغي وفي الحديث أن العبد إذا أذنب ذنباً صارت نكتة سوداء في قلبه فإذا زاد ذنب آخراً زاد السواد فلا
 يزال كذلك حتى بتغطى وهو الرين (لمحجوبون) حجب الكفار عن الله على أن المؤمنين لا يحجبون وقد استدلل بها
 مالك والشافعي على صحة رؤية المؤمن لله في الآخرة وتأولها المعتزلة أن معناها محجوبون عن رحمته (إن كتاب
 الأبرار لفي عِلِّيِّين) عِلِّيُّون اسم علم للكتاب الذى تكتب فيه الحسنات وهذا جمع منقول من صفة على ،
 على وزن فعيل للبالغة وقد عظمه بقوله وما أدراك ما عِلِّيُّون ، ثم فسره بقوله كتاب مرقوم وهو مشتق من
 العلو لأنه سبب في ارتفاع الدرجات في الجنة ، أو لأنه مرفوع في مكان على فقد روى عن النبي صلى الله
 عليه وسلم أنه تحت العرش ، وقال ابن عباس : هو الجنة وارتفع كتاب مرقوم في الموضعين على أنه خبر
 مبتدأ مضمرة تقديره هو كتاب ، وقال ابن عطية : كتاب مرقوم خبر إن والظرف ملغى وهذا تكلف يفسد
 به المعنى ، وقد روى في الآثار ما روى في الآية وهو أن الملائكة تصعد بصحيفة فيها عمل العبد فإن رضي الله قال
 اجعلوه في عِلِّيِّين ، وإن لم يرضه قال اجعلوه في سجين (يشهده المقربون) يعنى الملائكة المقربين (الأرائك)
 قد ذكر (ينظرون) روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ينظرون إلى أعدائهم في النار وقيل ينظرون
 إلى الجنة وما أعطاهم الله فيها (نضرة النعيم) أى بهجته ورونقه ، كما يرى في وجوه أهل الرفاهية والعافية
 والخطاب في تعرف للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أو لكل مخاطب من غير تعيين (يسقون من رحيق مختوم)
 الرحيق الخمر الصافية والمختوم فسرته الله بأن ختامه مسك ، وقرئ ختامه بألف بعد التاء ، وخاتمه بألف بعد الخاء
 وبفتح التاء وكسرها وفي معناه ثلاثة أقوال : أحدها أنه من الختم على الشيء ، بمعنى جعل الطابع عليه فالمعنى
 أنه ختم على فم الإناء الذى هو فيه بالمسك كما يختم على أفواه آنية الدنيا بالطين إذا قصد حفظها ، وصياتها
 الثانى أنه من ختم الشيء أى تمامه فمعناه خاتم شربه مسك أى يجد الشارب عند آخر شربه رائحة المسك
 ولذته الثالث أن معناه مزاجه مسك أى يمزج الشراب بالمسك ، وهذا خارج عن اشتقاق اللفظ (وفي ذلك
 فليتنافس المتنافسون) التنافس في الشيء هو الرغبة فيه ، والمغالاة في طلبه والتزاحم عليه (ومزاجه من تسنيم)
 تسليم اسم لعين في الجنة ، يشرب منها المقربون صرفاً ويمزج منه الرحيق الذى يشرب منه الأبرار ، فدل

عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ * إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ * وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ * وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ * وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُونَ * وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ * فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ * عَلَىٰ الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ * هَلْ تُؤِثُّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ *

سورة الانشقاق مكية : وآياتها ٢٥ نزلت بعد الانفطار

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ * وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ * وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ * وَأَلْقَتْ

ذلك على أن درجة المقربين فوق درجة الأبرار ، فالمقربون هم السابقون والأبرار هم أصحاب اليمين (عينا) منصوب على المدح بفعل مضمر ، أو على الحال من تسنيم (يشرب بها) بمعنى يشربها فالباء زائدة ويحتمل أن يكون بمعنى يشرب منها أو كقولك شربت الماء بالعسل (إن الذين أجمعوا كانوا من الذين آمنوا يضحكون) نزلت هذه الآية في صناديد قریش ، كأبي جهل وغيره مر بهم على بن أبي طالب رضى الله عنه وجماعة من المؤمنين ، فضحكوا منهم واستخفوا بهم (وإذا مروا بهم يتغامزون) أى يغمز بعضهم إلى بعض ويشير بعينه والضمير في مروا يحتمل أن يكون للمؤمنين أو للكفار ، والضمير في يتغامزون للكفار لا غير (فكهين) من الفكاهة وهى اللهو أى يتفكهون بذكر المؤمنين ، والاستخفاف بهم قاله الزجاجى ويحتمل أن يريد يتفكهون بنعيم الدنيا (وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون) أى إذا رأى الكفار المؤمنين نسبوهم إلى الضلال ، وقيل إذا رأى المؤمنون الكفار نسبوهم إلى الضلال والأول أظهر وأشهر (وما أرسلوا عليهم حافظين) أى ما أرسل الكفار حافظين على المؤمنين ، يحفظون أعمالهم ويشهدون برشدكم أو ضلالهم وكأنه قال كلامهم بالمؤمنين فضول منهم (فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون) يعنى باليوم يوم القيامة إذ قد تقدم ذكره فيضحك المؤمنون فيه من الكفار كما ضحك الكفار منهم فى الدنيا (هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون) معنى ثوب جوزى يقال ثوبه وأثابه إذا جازاه وهذه الجملة يحتمل أن تكون متصلة بما قبلها فى موضع مفعول ينظرون فتوصل مع ما قبلها أو تكون توقيفا فيوقف قبلها ويكون معمول ينظرون محذوفا حسبما ذكرنا فى ينظرون الذى قبل هذا وهذا أرجح لاتفاق الموضعين

سورة الانشقاق

(إذا السماء انشقت) اختلف فى هذا الانشقاق هل هو تشققها بالغمام أو انفتاحها أبوابا ، وجواب إذا محذوف ليكون أبلغ فى التهويل إذ يقدر السامع أقصى ما يتصوره وحذف للعلم بها اكتفاء بما فى سورة التكوير والانفطار من الجواب وقيل الجواب ما دل عليه فلاقية : أى إذا السماء انشقت لاقى الإنسان ربه ، وقيل الجواب أذنت على زيادة الواو وهذا ضعيف (وأذنت لربها) معنى أذنت فى اللغة استمعت وهو هنا عبارة عن طاعتها لربها وأنها انقادت لله حين أراد انشقاقها وكذلك طاعة الأرض لما أراد مدها وإلقاء ما فيها (وحققت) أى حق لها أن تسمع وتطيع لربها أو حق لها أن تنشق من أهوال القيامة وهذه الكلمة من قولهم هو حقيق بكذا أو محقوق به أى يجب عليه أن يفعله فالمعنى يحق على السماء أن تسمع وتطيع لربها أو يحق عليها أن تنشق ، ويحتمل أن يكون أصله حققت بفتح الحاء

مَا فِيهَا وَتَحَلَّتْ ۝ وَادَّانَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝ يَسْأَلُهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ۝ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ يَمِينًا ۝ فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝ وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مُسْرُورًا ۝ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ۝ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ۝ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مُسْرُورًا ۝ إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ ۝ بَلَىٰ ۚ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ۝ فَلَا أَقْسَمُ بِالْشفقِ ۝ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ۝ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ۝ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن

وضم القاف على معنى التعجب ثم أرغمت القاف في القاف التي بعدها ونقلت حركتها إلى الحاء (وإذا الأرض مدت) أي زال ما عليها من الجبال حتى صارت مستوية (وألقت ما فيها وتخلت) أي ألقت ما في جوفها من الموتى للحشر وقيل ألقت ما فيها من الكنوز وهذا ضعيف لأن ذلك يكون وقت خروج الدجال قبل القيامة والمقصود ذكر يوم القيامة وتخلت أي بقيت خالية مما كان فيها (يا أيها الإنسان) خطاب للجنس (إنك كادح إلى ربك) الكدح في اللغة هو الجهد والاجتهاد والسرعة فالمعنى أنك في غاية الاجتهاد في السير إلى ربك لأن الزمان يطير وأنت في كل لحظة تقطع حزام عمرك القصير فكأنك سائر مسرع إلى الموت ثم تلاقي ربك ، وقيل المعنى إنك ذوجد فيما تعمل من خير أو شر ثم تلقى ربك فيجازيك به والاول أظهر لأن كادح تعدى إلى لما تضمن معنى السير ولو كان بمعنى العمل لقال لربك (فأما من أوتي كتابه يمينه) ذكر في الحاقة (فسوف يحاسب حسابا يسيرا) يحتمل أن يكون اليسير بمعنى قليل أو بمعنى هين سهل ، وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من نوقش الحساب عذب فقالت عائشة ألم يقل الله فسوف يحاسب حسابا يسيرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما ذلك العرض وأما من نوقش الحساب فيهلك وفي الحديث أيضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يدني العبد يوم القيامة حتى يضع كنفه عليه فيقول فعلت كذا وكذا ويعدده عليه ذنوبه ثم يقول سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ، وروى أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال من حاسب نفسه في الدنيا هون الله عليه حسابه يوم القيامة (وينقلب إلى أهله مسرورا) أي يرجع إلى أهله في الجنة مسرورا بما أعطاه الله والأهل زوجاته في الجنة من نساء الدنيا أو من الحور العين ويحتمل أن يريد قرابته من المؤمنين وبذلك فسر الزمخشري (وأما من أوتي كتابه وراء ظهره) يعني الكافر وروى أن هاتين الآيتين نزلتا في أبي سلمة ابن عبد الأسد وكان من فضلاء المؤمنين وفي أخيه أسود وكان من عتاة الكافرين ولفظها أعم من ذلك فإن قيل كيف قال في الكافر هأن أن يوتي كتابه وراء ظهره وقال في الحاقة بشماله ؟ فالجواب من وجهين أحدهما أن يديه تكونان مغلولتين إلى عنقه وتجعل شماله وراء ظهره فيأخذ بها كتابه وقيل تدخل يده اليسرى في صدره وتخرج من ظهره فيأخذ بها كتابه (يدعو ثبورا) أي يصيح بالويل والثبور (إنه كان في أهله مسرورا) أي كان في الدنيا مسرورا مع أهله متنعما غافلا عن الآخرة وهذا في مقابلة ما حكى عن المؤمن أنه ينقلب إلى أهله مسرورا في الجنة وهو ضد ما حكى عن المؤمنين في الجنة من قولهم إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين (إنه ظن أن لن يحور) أي لا يرجع إلى الله والمعنى أنه يكذب بالبعث (بلى) أي يحور ويبعث (فلا أقسم) ذكر في نظائره (بالشفق) هي الحرة التي تبقى بعد غروب الشمس وقال أبو حنيفة هو البياض وقيل هو النهار كله وهذا ضعيف والاول هو المعروف عند الفقهاء وعند أهل اللغة (والليل وما وسق) أي جمع وضم ومنه الوسق وذلك أن الليل يضم الأشياء

طَبَقَ ۖ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۖ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ۖ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ۖ وَاللَّهُ
أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ۖ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۖ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۖ

سورة البروج : مكية وآياتها ٢٢ نزلت بعد الشمس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۝ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ۝ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝ قُتِلَ أَصْحَابُ

ويسترها بظلامه (والقمر إذا اتسق) أى إذا كمل ليلة أربعة عشر ووزن اتسق افتعل وهو مشتق من الوسق فكأنه امتلأ نورا وفى الآية من أدوات البيان لزوم مالا يلزم لالتزام السين قبل القاف فى وسق واتسق (لتر كبن طبقا عن طبق) الطباق فى اللغة له معنيان أحدهما ما طابق غيره يقال هذا طبق لهذا إذا طابقه والآخر جمع طبقة فعلى الأول يكون المعنى لتر كبن حالا بعد حال كل واحدة منها مطابقة الأخرى وعلى الثانى يكون المعنى لتر كبن أحوالا بعد أحوال هى طبقات بعضها فوق بعض ثم اختلف فى تفسير هذه الأحوال وفى قراءة لتر كبن فأما من قرأ بضم الباء فهو خطاب لجنس الإنسان وفى تفسير الأحوال على هذا ثلاثة أقوال أحدها أنها شذائد الموت ثم البعث ثم الحساب ثم الجزاء والآخر أنها كون الإنسان نطفة ثم علقة إلى أن يخرج إلى الدنيا ثم إلى أن يهرم ثم يموت والثالث لتر كبن سنن من كان قبلكم وأما من قرأ لتر كبن بفتح الباء فهو خطاب للإنسان على المعانى الثلاثة التى ذكرنا وقيل هى خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ثم اختلف القائلون بهذا على ثلاثة أقوال أحدها لتر كبن مكابدة الكفار حالا بعد حال والآخر لتر كبن فتح البلاد شيئا بعد شيء والثالث لتر كبن السموات فى الاسراء بعد سماء وقوله عن طبق فى موضع الصفة لطبقا أو فى موضع حال من الضمير فى لتر كبن قاله الزمخشري (فما لهم لا يؤمنون) الضمير لكفار قريش والمعنى أى شيء يمنعهم من الإيمان (وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون) هذا موضع سجدة عند الشافعى وغيره لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد فيها وليست عند مالك من عزائم السجدة (الذين كفروا) يعنى المذكورين ووضع الظاهر موضع الضمير ليصفهم بالكفر (والله أعلم بما يوعون) أى بما يجمعون فى صدورهم من الكفر والتكذيب أو بما يجمعون فى صحائفهم يقال أوعيت المسال وغيره إذا جمعته (فبشرهم بعذاب أليم) وضع البشارة فى موضع النذارة تهكما بهم (إلا الذين آمنوا) يعنى من قضى له بالإيمان من هؤلاء الكفار فلا استثناء على هذا متصل وإلى هذا أشار ابن عطية وقال الزمخشري هو منقطع (أجر غير ممنون) قد ذكر

سورة البروج

(والسما ذات البروج) البروج هى المنازل المعروفة وهى اثنا عشر ، تقطعها الشمس فى السنة ، وقيل هى النجوم العظام لأنها تتبرج أى تظهر (واليوم الموعود) هو يوم القيامة باتفاق وقد ذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (وشاهد ومشهود) يحتمل الشاهد والمشهود أن يكون من الشهادة على الأمر أو يكون من معنى الحضور وحذف المعمول وتقديره مشهود عليه أو مشهود به أو مشهود فيه ، وقد اضطرب الناس فى تفسير الشاهد والمشهود اضطرابا عظيما ويتلخص من أقوالهم فى الشاهد ستة عشر قولاً يقابلها فى المشهود اثنان وثلاثون قولاً ، الأول : أن الشاهد هو الله تعالى لقوله وكفى بالله شهيدا ؛ والمشهود على هذا يحتمل